كنيسة القديسين العظيمين

مارجرجس والانبا انطونيوس

محرم بك

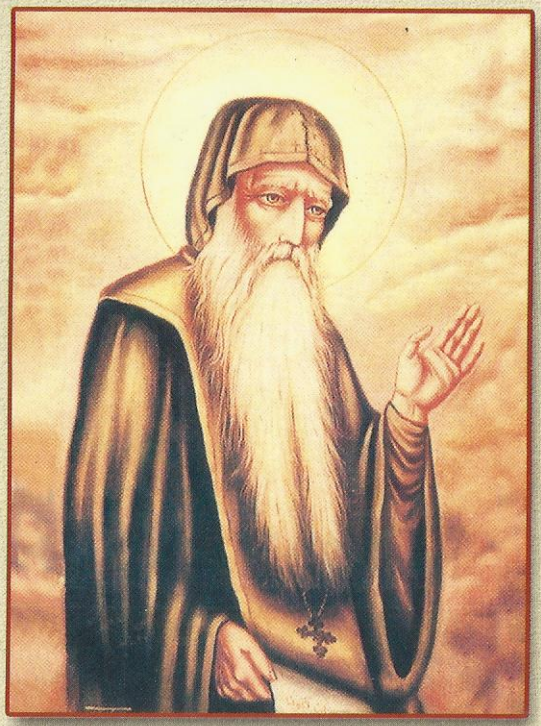

سيرة أنطونيوس

بقلم أثناسيوس

بحسب النص الأصلى للسيرة

إعداد القس / أنطونيوس فهمى

كنيسة القديسين العظيمين

مارجرجس والانبا انطونيوس

محرم بك

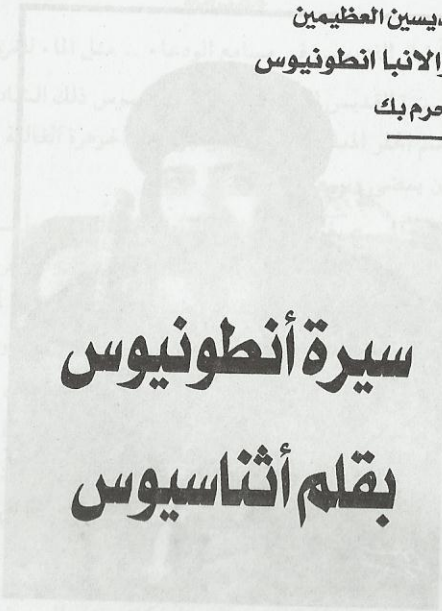

سيرة أنطونيوس

بقلم أثناسيوس

طبعة بحسب النص الأصلى بمعانٍ مبسطة

إعداد

القس / أنطونيوس فهمى

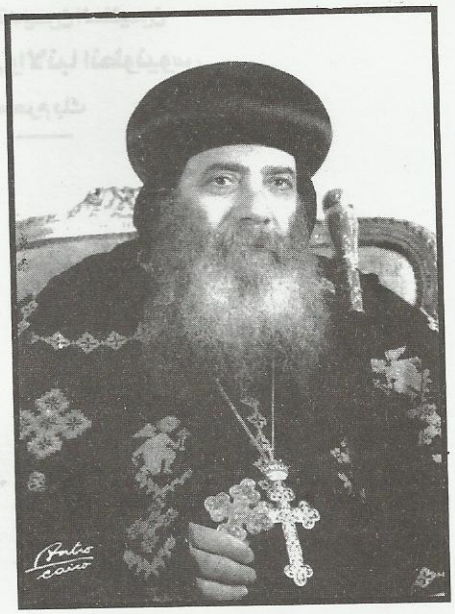

حضرة صاحب الغبطة والقداسة

البابا شنودة الثالث

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

اسم الكتاب : سيرة انطونيوس بقلم اثناسيوس

إعداد : القس / أنطونيوس فهمى

الناشر : كنيسة القديسين العظيمين مارجرجس والانبا أنطونيوس

الطبعة : الأولى

تاريخ النشر : يناير ٢٠٠٤

تجهيز فنى وتنفيذ : الرواد ـ ت : ٤٨٤٤٦٢٣ - ٤٨٣٥٤٦٥ (٠٢)

مقدمة

شهية هى أخبار القديسين فى مسامع الودعاء .. مثل الماء للغروس الجدد ..

ما أعظم سيرة القديس العظيم العظيم أنطونيوس ذلك الشاب الذى امتلأ عقله وقلبه بالإسم الحلو المملوء مجداً ... وحين وجد الجوهرة الغالية الكثيرة الثمن ... لم يتردد أن يمضى ويبيع كل ماله...

ومضى عاشق المسيح بغير طريق إلاّ أنه وضع كل ثقته فى المسيح الطريق .. وامتلأ قلبه غيرة فى جهاد متواصل ... فى مثابرة ونسك .. فى حروب متنوعة لا تنقطع .. مجرد أن نقرأها تجزع نفوسنا من ضراوتها .. وهو ثابت أكثر من ثبات الجبال التى يسكنها ... لم يكلّ .. ولم يتراجع .. بل كانت الحروب بالنسبة له كالرياح التى تعمق جذور الأشجار .. ولا تقتلعها ... فإزداد فى جهاده ونسكه وثباته فى المسيح ... حتى قيل عنه أنه ... ***كان يتنفس المسيح***

وفى كل صراع كان ينتصر ... وينتهر العدو بجبروت أولاد الله منادياً

قم أيها الرب الإله وليتفرق جميع أعداءك ... فينزى العدو ويتوارى

لذلك قيل عنه .. ***أن العدو كان يجرى منه***

وبحسب قول القديس أثناسيوس الرسولى كاتب هذه السيرة ... «فمن كان يظن أن العدو الذى أراد أن يصير مشابهاً لله .... يسخر منه الآن شاب .. ومن افتخر على اللحم والدم يغلبه إنسان يحمل جسداً»

انها سيرة عظيمة ... وأيضاً من يكتبها ؟.. إنه البابا أثناسيوس الرسولى ... فماذا سيقول هذا العظيم عن ذاك الجبار ؟!! إنه سيتكلم بعظائم ... لذلك أردنا عزيزى القارئ أن نمتعك بهذه العظائم.

انها سيرة من القرن الرابع الميلادى .. فهى ليست جديدة .. ولكنها ستبقى جديدة. انها سيرة حية متجددة .. نُشرت بلغات عديدة ولكن لا يفهمها إلا الذى يعرف لغة الحب الإلهى.

انها سيرة ألهبت القلوب .. وجذبت للمسيح قلوب شباب وعذارى فخرجوا فى إثره ..

هذه السيرة قرأها الأغنياء فاحتقروا غناهم ... قرأها الحكماء فازدادوا حكمة .. قرأها المنبهرين بمباهج العالم فأحبوا سكنى الجبال والبرارى .. قرأها الخطاة فامتلأ قلبهم توبة وغيرة على الجهاد ..

ويكفى أن تعرف عزيزى القارئ أن سيرة العظيم الأنبا أنطونيوس كانت سبباً قوياً فى توبة وتغيير القديس أوغسطينوس ...

الله يجعل هذه السيرة سراجاً مضيئاً لنا فى موضع مظلم ... ليمتد عمله فى كنيسته المقدسة فيخرج الجميع وراءه .. مجروحة نفوسهم بجراحات محبته لهم .. طالبين جراحات جديدة كل يوم من أجله .. ولأنهم لم يستطيعوا أن يضبطوا لهيب محبته لهم، لذلك سيخرجون مسبحين إياه فى البرارى والقفار والجبال .. ويسكنون الشقوق والمغائر ... ويجعلون البرارى فراديس ... بل والأرض سماءً .. بحسب وعد الله لهم

الأرض التى أقسم الرب لآبائك أن يعطيهم إياها كأيام السماء على الأرض (تث١١: ٢١)

وليس لنا إلا أن نرفع قلوبنا مع راعى الرعاة قداسة البابا شنودة الثالث عاشق القديس الأنبا أنطونيوس .. ونردد كلمات قداسته

لم نحيا كحياتك .. لم نسلك فى صفاتك .. فاذكرنا فى صلاتك ...

واشفع فى مذلتنا .. وضعف طبيعتنا .. فى مدة غربتنا ...

بركة القديس العظيم الأنبا أنطونيوس تجعل سيرته حياة لنا

ربنا يسند كل ضعف فينا بنعمته لإلهنا كل المجد والاكرام من الآن والى الأبد آمين

القس أنطونيوس فهمى

يناير ٢٠٠٤

تمهيد [١] :

انكم شرعتم فى منافسة رهبان مصر منافسة شريفة، لأنكم قررتم أن تماثلوهم أو أن تتفوقوا عليهم فى ممارستكم الفضيلة. وها أن لديكم أديراً وتعيشون حياة الرهبان. والمرء يقدر ان يمدح حقًا هذه الرغبة، عسى أن يتممها الله بصلواتكم. لكن بما أنكم طلبتم منى أن أكتب لكم عن حياة المغبوط أنطونيوس، وملؤكم الرغبة فى ان تعرفوا كيف بدأ نسكه، ومن كان قبل ذلك، وكيف كانت نهاية حياته، وهل أن كلّ ما يُروى عنه صحيح، وذلك لكى تقتدوا بغيرته، قبلت برغبة قوية وصيتكم، لأنى اعتبر أن ذكريات أنطونيوس بل مجرد ذكر اسمه فقط هى عون كبير لى أنا أيضًا. أعلم أنكم إذا سمعتم سيرة حياته لن تعجبوا بالرجل فحسب، بل سترغبون فى الإقتداء بعزمه، فحياة أنطونيوس بالنسبة للرهبان نموذج كاف للرهبان لحياة النسك. ففى الأمور التى سمعتموها ممن أخبروكم عنه لا تشكّوا، بل صدقوا أنكم سمعتم القليل عنه. فأولئك بالجهد أخبروكم هذا المقدار. أما أنا فبحثكم لى، أرسل لكم كل ما استطيع ذكره فى رسالتى، مورداً

---

١ – نجد فى نص إفاغريوس هذه النخبة : أثناسيوس الاسقف الى الاخوة فى البلاد الاجنبية إنكم شرعتم....

القليل عن حياته لكن لا تتوقفوا عن سؤال المبحرين من هنا. فإذا أورد المرء كل ما يعرفه عنه، يستطيع جاهداً أن يكمل سيرته كما ينبغى. عندما تلقيت رسالتكم، حرصت على استدعاء بعض الرهبان الذين اعتادوا زيارته ورافقوه كثيراً، حتى أتعلم منهم أموراً أكثر، فأرسل لكم معلومات أوفر. لكن بما أن وقت إبحار السفن قد أوشك أن ينتهى، وحامل الرسالة مسرع فى الذهاب، لذلك أسرعت فى الكتابة إليكم عن كل ما أعرفه «لأننى رأيته مراراً» وكل ما استطعت أن أتعلمه منه، لأننى لازمته وقتًا طويلاً، وسكبت فى يديه ماء (٢مل ٣:١١)، كما اعتنيت بأن تكون كل الأمور حقيقية وفى كل ما كتبت حرصت على أن لا أبالغ فى الوصف لكى لا يرتاب أحد إذا ما سمع كثيراً وعلىّ أن لا أختصر الكلام لئلا يقلل أحد من شأن الرجل إذا ما سمع عنه قليلاً.

ميلاده ونشأته :

١ - كان أنطونيوس مصرى النسب، وكان أهله من اعيان البلد، وذوى ممتلكات عديدة. وكانوا مسيحيين فتربّى تربية مسيحية، ونشأ عند والديه دون أن يعرف غيرهما، ودون أن يعرف ما هو خارج البيت. وعندما شبّ وتقدم فى السن لم يرغب أن يتعلم القراءة والكتابة، لأنه أراد أن يتجنب معاشرة الأخرين. وكان مراده أن يقيم فى البيت كإنسان بسيط، كما كُتب عن يعقوب [١]، غير أنه كان يرافق أهله فى ذهابهم إلى الكنيسة. فلم يتهاون وهو صبىّ فى الذهاب إلى الكنيسة. كما أنه لم يزدر بهذا عند بلوغه، بل كان مطيعًا لوالديه يصغى إلى كل ما يُقرأ حافظًا فى قلبه الفائدة التى تأتيه منه. ورغم الثروة الكافية فإنه لم يزعج أهله بطلب المأكولات الفاخرة والمتعددة، ولم يكن يسعى إلى اللذات التى تأتى منها، بل يكتفى بما يجده ولا يطلب المزيد.

بداية حياته النسكية :

٢ - بقى أنطونيوس وحيداً مع أخته الصغيرة جداً بعد موت

١ - «كان يعقوب رجلاً مسالمًا» أو كاملاً «يلزم الخيام» (تك ٢٥ : ٢٧).

أبويه. وكان عمره آنذاك ثمانى عشرة سنة تقريبًا أو أنه كان بلغ العشرين. فاهتم بالبيت وبأخته. وما أن مضت ستة أشهر على موت والديه وبينما كان ذاهبًا الى الكنيسة حسب عادته أخذ يفكر كيف ترك الرسل كل شيء وتبعوا المخلص (مت ٤: ٢٠). وكيف كان مسيحيو أعمال الرسل يبيعون ممتلكاتهم ويلقون ثمنها عند أقدام الرسل ليوزعوها على الفقراء (أعمال ٤: ٣٤، ٣٥)، وأى أجر عظيم كان ينتظرهم فى السماء. ثم دخل الكنيسة وهو يفكر فى هذا، وصدف أن قُرئ الإنجيل فسمع السيد يقول للغنى : «إن أردت أن تكون كاملا، فاذهب وبع كل ما تملكه ووزّع ثمنه على الفقراء فيكون لك كنز فى السموات، وتعال اتبعنى» (متى ١٩: ٢١)

وكأن أنطونيوس حصل على نعمة من اللّه وكأن الله قد ذكره بالقديسين، وكأن المقطع الإنجيلى قُرئ خصيصًا له وحده، فللحال خرج من الكنيسة، ووهب كل الممتلكات التى ورثها عن والديه (وكانت ثلاثمئة فدان من الأرض الجيدة والكثيرة الخصب) إلى أبناء قريته، كى لا تزعجه وتزعج أخته. ثم باع الممتلكات المنقولة، فجمع من ثمنها مالاً كافيًا، ووزّعه علّى الفقراء، محتفظًا بالقليل لأخته.

دعوته الرهبانية وانتصاره على حرب الشيطان :

٣ - عندما دخل الكنيسة ثانية وسمع فى التلاوة الإنجيلية أن الرب يقول «لا يهمكم أمر الغد» (متى ٦: ٣٤) لم يحتمل البقاء أكثر من ذلك، فخرج ووزّع الباقى على الفقراء، وأودع أخته عند عذارى أمينات ومعروفات، ثم وضعها فى بيت للعذارى لتتربى فيه، وتفرغ للنسك قرب بيته متأملاً ومحترسًا فى ذاته، ومتدربًا على الصبر، لأنه لم يكن فى مصر أديار دائمة، ولم يكن الرهبان على علم بالصحراء الكبرى بعد.

فكل من أراد التأمل كان يمارس النسك متوحداً قرب بيته. وفى ذلك الوقت كان فى القرية المجاورة شيخ يمارس النسك منذ شبابه، فلما شاهده أنطونيوس اشتعل فى قلبه حماس مقدس. هكذا أقام فى أول الأمر فى أماكن قرب قريته. وكلما سمع بوجود ناسك عظيم انطلق من هناك مفتشًا عنه كالنحلة الحكيمة. فكان لا يرجع إلى مكانه إلا بعد أن يراه، فيتزود بالأمور النافعة روحيًا فى طريق الفضيلة، ثم يرجع إلى مكانه.

وإذ أقام فى الأيام الأولى من نسكه هناك صمم على عدم العودة إلى الإهتمام بالأمور العائلية، وعلى عدم تذكّر أقربائه، فثبت كل

رغبته وغيرته على قوة النسك. وكان يقوم بأعمال يدوية، لأنه سمع قول بولس : «من لا يريد ان يعمل لا يحق له أن يأكل» (٢تسا٣: ١٠). قسم من نتاج عمله كان من أجل قوته، والقسم الآخر كان يوزعه على الفقراء. كان أنطونيوس يصلى باستمرار، عالمًا أنه ينبغى أن يصلى فى الخفية بلا انقطاع (أنظر متى ٦:٦، ١تسا٥:١٧). وكان يصغى أيضًا إلى تلاوة الكتاب المقدس، حتى لا يسقط شيء مما يقرأه على الأرض، فيحفظه ليكون فى ذاكرته بدل الكتاب المقدس. أى أن ذاكرته أغنته عن الكتب.

٤ - أصبح محبوبًا من الجميع، لأنه روض نفسه على الفضيلة. كان مخلصًا فى طاعة النسّاك العظام الذين كان يزورهم، وتعلم ميزات الغيرة والنسك التى كان يتمتع بها كل منهم. فرأى فى الواحد الفرح واللطف وفى الثانى الرغبة فى الصلوات الطويلة بلا انقطاع وفى هذا عرف التحرر من الغضب، وفى ذاك الرقة والإحسان. وكان يوجه انتباهه إلى من يسهر وإلى من يحب العلم والدراسة كما أعجب بمن يحمل نفسه على كثرة الصبر وقوة الاحتمال وبمن ينام على الأرض ومن يصوم فكان ينظر بانتباه إلى وداعة هذا، وإلى طول أناة ذاك. لاحظ كذلك إيمانهم بالمسيح ومحبتهم لبعضهم البعض. فعاد إلى

نسكه ممتلئًا ومجاهداً لجمع كل هذه الصفات فى نفسه ولإظهارها فى ذاته. ولم يحاول أن ينافس الرهبان الذين هم فى مثل سنه، سوى أن لا يكون أقل منهم فى الأمور الأسمى وفى اكتساب الفضائل.

ولما رآه أبناء قريته ومحبو الصلاح الذين كانوا يجتمعون به، عائشًا بهذه الطريقة، سمّوه حبيب الله. كما أن بعض الناس استقبلوه كإبنهم وبعضهم الآخر كأخيهم.

بداية محارباته مع الشياطين :

٥ - لكن الشيطان، عدو الخير، والحسود لم يطق أن يرى فى هذا الشاب كل ذلك العزم والثبات، فأخذ يقاوم كل ما يصمم على فعله. فى البدء، حاول أن يهدم حياة أنطونيوس النسكية مذكراً إياه بممتلكاته، وبالعناية بأخته، وبمودة أقربائه، وبمحبة المال، وبالمجد الفارغ، وبالأطعمة، وبلذائذ أخرى من الحياة، وأخيراً ذكّره بصعوبات الفضيلة، وبما تتطلبه من جهد. وأظهر له كذلك ضعف الجسد وطول الوقت، وأثار فى ذهنه الأفكار القبيحة محاولاً أن يثنيه عن عزمه القويم. لكن عندما رأى نفسه ضعيفًا أمام غيرة أنطونيوس، بالأحرى عندما أدرك هزيمته أمام ثباته، وانكساره أمام إيمانه العظيم، وسقوطه أمام صلواته المستمرة، وضع ثقته بالسلاح الموجود «فى

عضل بطنه» (أيوب ٤٠:١٦) وافتخر به (هذه هى الفخاخ الأولى المنصوبة ضد الشباب)، فهاجم الشاب وسببّ له ضجة أثناء الليل وازعجه فى النهار، حتى أن الذين يشاهدونه كانوا يدركون الصراع الذى بينهما. فالشيطان أثار فيه الأفكار القبيحة، أمّا أنطونيوس فكان يقاومها بالصلاة. جربه أيضًا عن طريق سهام الشهوة أما هو فكان يحصن جسده بالإيمان وبالصوم والصلوات. لكنّ ذلك الشقى ظهر له فى الليل كامرأة مقلداً كل التصرفات النسائية، حتى يخدع أنطونيوس أما هو فاحمر خجلاً وكان يفكر فى المسيح، وفى نبله المسيحى وفى روحانية النفس، فأخمد جمرة خداع الشيطان. أن العدو أشار إلى حلاوة اللذة، لكنّ ذلك امتلأ غضبًا وحزنًا وأخذ يفكر فى تهديد النار الأبدية وألم الدود مقاومًا هذه الأمور، وخارجًا منها بدون أذى وكل هذه كانت من أجل خزى العدو. «فمن كان يظن بأنه سيصبح مشابهًا للّه (أشعياء ١٤:١٤) يسخر منه الآن شاب، ومن افتخر على اللحم والدم يغلبه إنسان يحمل جسداً. فالرب كان يعمل معه، إذ لبس جسداً لأجلنا وأعطانا بجسده النصر على الشيطان، حتى أن كل من جاهد بقوة واخلاص استطاع أن يقول: «ولا أنا، بل نعمة اللّه التى هى معى» (١ كور ١٥:١٠).

٦ - إذن، عندما عجز التنّين (الشيطان) عن الإنتصار على أنطونيوس بهذه الطريقة، بل وجد نفسه مطروداً من قلبه، أخذ يصرّ بأسنانه، كما كُتب (١ بط ٥:٨)، وكأنه خرج عن شكله فمثلما يوجد فى الذهن، هكذا ظهر له فى الخيال كعبد أسود. ولكونه مخادعًا لم يعد يهجم عن طريق الأفكار الشريرة (لأن الغاش طرد)، بل عن طريق صوت بشرى قائل: لقد خدعت الكثيرين وانتصرت عليهم، لكننى كما هجمت على كثيرين هجمت عليك وعلى جهاداتك غير أننى ظهرت ضعيفًا. وعندما سأله أنطونيوس: من أنت يا من تقف بقربى وتقول هذه الأقوال؟ للحين أخرج ذاك أصواتًا ضعيفة وقال: أنا هو صديق الزنى، أنا من ينصب فخاخ الزنى، ولقد التحفت بالإغراءات التى تدفع الشاب إليه لذلك دُعيت روح الزنى. كم من الذين أرادوا الزهد والطهارة خدعت، وكم من الذين حافظوا على العفة أقنعتهم بإغراءاتى. وأنا من لأجلى وبّخ النبى الذين سقطوا إذ قال: «روح الزنى أضلّهم» (هوشع ٤:١٢) لأننى أعثرتهم. أنا من أزعجتك مرات عديدة، لكنك كنت تنتصر علىّ فيها جميعًا. أما أنطونيوس فشكر الرب وواجه الشيطان بشجاعة قائلاً له: أنت تستحق كل احتقار، أنت مظلم العقل وأسود القلب وعديم القوة مثل ولد صغير. لن أخشاك

فيما بعد لأن «الرب عون لى، وأنا أزدرى بأعدائى» (مز ١١٨:٧). عندما سمع ذلك المظلم هذه الأمور هرب للوقت بأصوات مخنوقة من الخوف مرتجفًا من الكلام غير متجاسر على الإقتراب من الرجل.

تفاصيل حياته النسكية (٢٧١ - ٢٨٥م):

٧ - هذا هو صراع أنطونيوس الأول ضد الشيطان، بل ان هذا الإنتصار هو انتصار المخلّص فى أنطونيوس، فهو «حكم على الخطيئة فى الجسد، ليتم ما تتطلبه منا أحكام الشريعة، نحن السالكين سبيل الروح لا سبيل الجسد» (رومية ٨:٣-٤) وبالرغم من سقوط الشرير لكن أنطونيوس لم يظهر تكاسلا أو تراخيًا، لأنه انتصر على الشيطان، كما أن العدو لم يكف البتة عن نصب الفخاخ، لكونه قد هزُم، بل كان يلتف حوله كالأسد محاولاً أن يجد علّة ضده، لكن أنطونيوس الذى تعلّم من الكتاب أن مكائد الشيطان كثيرة (أف ٦:١١) كان ينسك نسكًا قاسيًا، لأنه كان يعتقد أن الشيطان إذا لم ينجح حتى الآن فى أن يخدع قلبه بلذة جسدية، فسيحاول بوسائل أخرى أن ينصب له شركًا، لأن الشيطان صديق الخطيئة. لذلك كان يقسو على جسده ويستعبده أكثر فأكثر (١كو ٩:٢٧) خوفًا من أن يقع فى خطيئة ما بينما انتصر فى أخرى.

من هنا أراد أن يتعود النسك القاسى. وفى حين أن الكثيرين تعجبوا منه، فقد تحمّل التعب بسهولة، لأن نشاط نفسه قوىّ فى ذاته العادة الحسنة هذه، حتى أنه إذا تلقى توجيهًا صغيراً من الآخرين، اظهر حماسًا كبيراً له. كثيرا ما كان يقضى الليل ساهراً، ولم يفعل هذا لمرة واحده، بل لمّرات عديدة، حتى أثار الإعجاب، وكان يأكل مرة واحدة فى النهار بعد غروب الشمس، وتارة مرة كل يومين، وأحيانا كثيرة مرة كل أربعة أيام. وكان طعامه خبزاً وملحًا وشرابه الماء وحده. وكان مجرد التكلم على اللحم والخمر يعد ترفًا لأن المرء لا يقدر أن يجدها عند النسّاك الآخرين العظام فى تلك المنطقة.

وكان يكتفى بأن ينام على حصيرة خشنة، وفى أغلب الأحيان كان ينام على الأرض العارية، قائلاً أنه ينبغى على النسّاك الجدد أن يرغبوا فى ممارسة التقشف، غير مستخدمين كل ما يجعل الجسد متكاسلاً، لكى يعتاد القسوة، لأنه كان يفكر فى قول الرسول : «لانى عندما أكون ضعيفًا أكون قويًا» (٢ كور ١٢:١٠). لذلك كان يقول ان عزم النفس يقوَى عندما تضعف ملذات الجسد. كان حقًا ذا ذهنية غريبة لأنه لم يكن يقيس تقدمه فى الفضيلة، ولا توحّده من أجل اقتنائها، بل أنه بالغيرة والقصد نسى الماضى وجاهد بقوة من

أجل تقدمه الروحى، حتى أنه كان يبدأ حياته النسكية من جديد كل يوم، مذكِّراً نفسه بقول الرسول : «أنا أنسى ما ورائى وأجاهد إلى الأمام» (فيلبى ٣:١٣)، ومورداً آية النبى إيليا القائل : «حى هو الرب الذى أنا حاضر أمامه اليوم» (١ملوك ١٨:١٥). فلاحظ أن النبى بقوله «اليوم» لم يقس الزمن الماضى، بل اجتهد، وكأنه يبدأ كل يوم، فى أن يظهر، كما ينبغى، أمام الله طاهر القلب ومستعد لإطاعة مشيئته، وليس لأى شخص آخر. وكان يقول فى داخله ان الناسك الذى يستفيد من سيرة إيليا العظيم يجب أن ينظر دائمًا إلى حياته كما فى مرآة.

سكناه فى مقبرة :

٨ - وإذ أراد التضييق على نفسه قصد القبور الموجودة بعيداً عن القرية. ولما طلب من أحد معارفه أن يجلب له خبزاً على فترات طويلة ودخل أحد القبور، فأغلق صاحبه الباب دونه وبقى فى الداخل وحده. عندها لم يحتمل العدو هذا الشىء لأنه خاف من أن يملأ الصحراء شيئًا فشيئًا بنسكه. فدنا منه فى إحدى الليالى مع جمهرة من الشياطين، ومزقه بجلدات كثيرة وجرحه كثيراً حتى أنه سقط على الأرض لا يقوى على الكلام من شدة العذاب والألم المبرح. وأنطونيوس

نفسه أكد أن الآلام كانت شديدة حتى ان ضربات الإنسان، كما يقول، لا تسبب ألماً لا يحُتمل كهذا. لكن بعناية إلهية - لأن الرب لا يتغاضى عن الذين يضعون رجاءهم عليه - أتى صاحبه فى اليوم التالى جالبًا له الخبز. وعندما فتح الباب رآه ملقى على الأرض كالميت، فأخذه بيديه وحمله إلى الكنيسة التى فى القرية، ووضعه على الأرض. فأتى كثير من أقاربه ومن أهل القرية فجلسوا بجواره، وكأنهم بجوار ميت. لكن أنطونيوس عاد إلى وعيه فى نصف الليل، والجميع نيامًا، ما عدا صاحبه، فأومأ إليه برأسه ليقترب منه ورجا منه أن يحمله على يديه ويعيده إلى القبور دون أن يوقظ أحداً.

٩ - فحمله الرجل وأغلق الباب كالعادة، ليبقى وحيداً فى الداخل. لكنه لم يقو على الوقوف بسبب جراحاته، فاستلقى على الأرض وأخذ يصلى. ولما أنهى صلاته صرخ بقوة : أنا هو أنطونيوس أنا هنا. إننى لن أهرب من جراحاتكم، حتى لو أصبتمونى أكثر «فلا شىء يفصلنى عن محبة المسيح» (رومية ٨:٣٥). ثم أخذ يرتل قائلا «ان اصطف على عسكر، فلن يخاف قلبى» (مزمور ٢٧:٣). هذه هى الأمور التى قالها الناسك وآمن بها، لكن العدو ومبغض الصلاح اندهش من تجاسره على العودة إلى القبور بعد كل هذه

قوة من ذى قبل. حدث هذا عندما بلغ الخامسة والثلاثين من عمره.

عبوره النيل وذهابه إلى البرية :

١١ - فى اليوم التالى خرج أشد ميلاً لحياة الفضيلة وانطلق إلى الشيخ القديم راجيًا إياه ان يسكن معه فى الصحراء. لكنّ الشيخ رفض بسبب كبر سنه، ولأن هذا كان غير مألوف فى تلك الآونة. فانطلق فى الحال إلى الجبل. أما العدو فكان ينظر إلى غيرته وهو يحاول أن يقاومها، فألقى فى الطريق قرصًا فضيًا كبيراً. لكنه أدرك حيلة كارهِ الخير، فنظر إلى القرص ووبَخ الشيطان الذى فيه وقال : كيف وُجد هذا القرص فى الصحراء؟ ان الطريق ليس مألوفًا، ولا أثر فيه يشير إلى مرور أناس من هنا. كما أنه لو سقط لآثار الإنتباه، لأنه كبير الحجم، ولو رجع الذى أضاعه ليفتش عنه، أما وجده، لأن المكان مقفر. إذن إنه من حيل الشيطان. فلن تعيقنى عن هذا الحماس أيها الشيطان، «إلى الهلاك أنت ومالك» (أعمال ٨: ٢٠). وفيما يقول هذا اختفى القرص «كالدخان أمام النار» (مزمور ٦٧: ٢).

١٢ - وعندما تقدم فى الطريق رأى ذهبًا حقيقيًا ملقى على الطريق. لكنّ أنطونيوس لم يخبرنا، ونحن لم نعلم، إن كان العدو هو الذى أراه إياه أو أنّ قوة أعظم أرادت ان تمتحن البطل المجاهد، وأن

يُظهر للشيطان أنه لا يهتم بالمال أبداً، إنما نعرف ان ما ظهر كان ذهبًا حقيقيًا تعجب أنطونيوس من كثرة كمية الذهب، لكنه عبر فوقها، وكأنه يعبر فوق النار، فلم يرجع رأسه إلى الخلف. بل أخذ بالركض بسرعة، حتى يختفى المكان فينساه. ومن ثم وجد عبر النهر حصنًا مهجوراً منذ زمن مليئًا بالزحافات. فعبر إليه وسكن فيه. وللحين هربت الزحافات، بل قل كأن أحداً طردها. فأقام حاجزاً على مدخله، واختزن خبزاً لمدة ستة أشهر (كما كانت عادة أهل طيبة الذين كثيراً ما حفظوا الخبز سليمًا لمدة سنة كاملة).

وبما ان الماء كان متوفراً داخله، لزمه متوغلاً فيه، فمكث فيه دون أن يخرج لزيارة أحد ودون أن يرى أحداً من الذين كانوا يزورونه. وهكذا أمضى وقتًا طويلا، فى نسك، لكنه كان يقبل الخبز مرتين فى السنة من السقف.

١٣ - لم يكن يسمح لمعارفه الذين كانوا يأتون لزيارته بالدخول، وفى كثير من الأحيان كانوا أثناء انتظارهم فى الخارج ليل نهار يسمعون ضجيج جمهرة من الناس وكأنها تتضارب وتتصارخ بائسة وهى تقول : ابتعد عن أماكننا، ماعلاقتك بالصحراء ! فلن تستطيع احتمال مكيدتنا. وكان الذين فى الخارج يظنون فى البدء أن جماعة

من الناس دخلت بواسطة السلالم، وأخذت فى العراك معه. لكن عندما كانوا ينحنون وينظرون من ثقب الباب، كانوا لا يرون احداً ويدركون أنها الشياطين، فيخافون ويطلبون مساعدة أنطونيوس. بيد أن أنطونيوس كان يصغى إلى أصوات الزائرين، غير مكترث بالشياطين. بل كان يدنو من الباب ويرجَونَهم أن يرحلوا، حتى لا يخافوا وكان يقول لهم إن الشياطين تخلق رؤى للجبناء. لذلك ارسموا أنفسكم بعلامة الصليب واذهبوا بشجاعة واتركوا هؤلاء يسخرون ويضحكون على أنفسهم. فكانوا يتحصّنون بإشارة الصليب ويرحلون.

أما هو فلم يمسه أذى ولم يتراخ فى جهاده، إذ أن قوى الرؤى الإلهية وضعف الأعداء أراحاه من الآلام وأعطياه حماسًا اشد. واعتاد معارفه أن يأتوا إليه وهم يظنون أنهم سيجدونه ميتًا، لكنهم كانوا يسمعونه وهو يرتل «ليقم الله ولتتبدد أعداؤه، وليهرب مبغضوه من أمام وجهه. كما يتبدد الدخان يتبددون، وكما يذوب الشمع أمام النار، يذوب الخطاة أمام وجه الله» (مزمور ٦٨:١-٢). «أحدقت بى جميع الأمم، وباسم الرب قهرتها» (مزمور ١١٨:١٠).

زيارة النساك الجدد له وتوحّدهم :

١٤ - انقضت عشرون سنة دون أن يخرج أو أن يراه أحد باستمرار وهو ينسك بمفرده على هذا النحو. بعد هذه السنين، لما رغب وأراد كثير من الناس برغبة حارة أن يقلّدوا نسكه، أتى معارفه وفتحوا الباب عنوة. فخرج أنطونيوس وكأنه يخرج من الهيكل وهو يحمل الله متعمقًا فى الأسرار وممتلئًا بروح الله، فكانت المرة الأولى التى يظهر فيها خارج الحصن. فتعجبوا منه، لأنهم رأوا جسده فى حالته المعتادة، أى أنه لم يترهل كشخص لم يمارس رياضة بدنية، ولم يضعف بسبب كثرة الأصوام وصراعه مع الشيطان. إنه هو نفسه كما عرفوه قبل اعتزاله الطويل. فسجية نفسه كانت طاهرة بلا لوم والأسى والحزن لم يتحكم به. عقله لم يتشتت قط من جراء أية لذة. ولم يكن عابسًا ولاضاحكًا. وحينما رأى الجمع لم يضطرب، كما لم يفرح بمعانقة الكثيرين له. فكان عقله راجحًا وحالته طبيعية. كان هو نفسه دائمًا. والرب شفى بواسطته أمراض عدد كبير من الحاضرين، وطهّر آخرين من الشياطين بصلواته. الرب أعطاه نعمة كبيرة فى الكلام، فعزّى كثيرين من الحزانى وصالح المتخاصمين. وفى نهاية حديثه قال لهم إنه ينبغى ألا نضع فى العالم شيئًا أرفع وأفضل من محبة المسيح. وكان

يحدثهم حاثًا إياهم على تذكر الخيرات الآتية والرحمة والمحبة التى أظهرها الله للإنسان «الذى لم يبخل بابنه بل أسلمه إلى الموت من أجلنا جميعًا، كيف لا يهبنا معه كل شىء» (رومية ٨:٣٢).

فأقنع الكثيرين باختيار حياة التوحد. وهكذا قامت الأديار على الجبال، وتحوّلت الصحراء إلى مدينة يعمرها الرهبان الذين خرجوا من تلقاء أنفسهم وكتبوا أسماءهم فى الملكوت السماوى.

١٥ - احتاج مرة إلى عبور ترعة ارسينا وهى تقع فى منطقة الفيوم (لأن زيارة الاخوة كانت ضرورية) وكانت مليئة بالتماسيح. فاكتفى بالصلاة ثم دخل المياه مع الذين كانوا معه عابرين القناة فى امان بدون ضرر. وعندما رجع إلى الدير أكمل الجهاد النبيل والقوى. وفى حديثه مع الرهبان الجدد ملأهم حماسًا وحثهم على عشق النسك. وبجاذبية أقواله تأسست بسرعة أديار متعددة، فكان هو أبًا ومرشداً.

عرض خبرته للنساك (من تعاليم أنطونيوس الرهبانية):

١٦ - خرج مرةً إلى الخارج فاقترب منه جميع الرهبان وطلبوا ان يسمعوا منه كلمة فقال لهم باللغة المصرية. الكتاب المقدس كاف للتعليم، لكن من الحسن أن يشدِّد الواحد الآخر فى الإيمان، وأن نطيب النفس بالكلام الروحى. فيا أولادى احملوا إلى أبيكم كل ما

تعرفونه، وأنا سأنقل لكم ما أعرفه من خبرتى، لأننى أكبر منكم سنًا. لتكن هذه الغيرة مشتركة عند الجميع، ولا نفكرنَّ فى الرجوع إلى الحياة الدنيوية بعد أن بدأنا أو تخور عزائمكم فى الضيق ولا نخضعن عقلنا للشر، ولا نقل إننا عتقنا فى الحياة النسكية، بل ليزد غيرتنا وحماسنا أكثر فأكثر، وكأننا نبدأ كل يوم. لأن حياة الإنسان قصيرة جداً إذا ما قيست بدهور الحياة الآتية، بل إن كل حياتنا الأرضية ودمائنا لا تساوى شيئًا أمام الحياة الأبدية. كل ما فى العالم نقايضه بشىء يساويه، أما وعد الحياة الأبدية فيشترى بسعر قليل جداً.

لقد كُتب «أيام حياتنا سبعون سنة وإن كانت مع القوة فثمانون، ومعظمها كدّ وعناء» (مزمور ٩٠:١٠)، أى إذا ثبتنا فى النسك لمدة ثمانين أو مئة سنة، فلن نتملّكَ (نصبح ملوكًا) لمئة سنة فقط، بل إلى دهر الداهرين. وفى حين أننا نجاهد على الأرض، فلن نرث ما عليها، لأننا سنحصل على الوعود فى السموات. وفى حين أننا نترك على الأرض جسداً ميتًا، فسنحصل فى السموات على جسد غير فاسد.

ما نتركه من أجل المسيح لا يقاس بملكوت السموات:

١٧ - يا أولادى، يجب علينا ألا نفقد حماسنا ظانين اننا عتقنا فى النسك، أو أننا حققنا شيئًا عظيمًا. «إن آلامنا فى هذه الحياة لا

توازى المجد الذى سيظهر فينا » (رومية ١٨:٨). ويجب أيضًا ألا ننظر إلى العالم وكأننا تركنا أموراً عظيمة أو شيء ذا أهمية لأن هذه الأرض صغيرة وتافهة جداً إذا قيست بالسماء كلها. فلو اتفق ان كنّا ملوكًا على الأرض، ورفضنا كل شيء فيها، فهذا لا يستحق مقارنته بأى شيء فى ملكوت السموات. هذا النكران هو كمن يزدرى درهمًا نحاسيًا، حتى يربح مئة درهم ذهبى. فان ما يتركه زهيد وينال مئة ضعف فإذا كانت الأرض كلها لا تساوى شيئًا بالنسبة إلى السماء، فمن ترك بعض الحقول يكون كمن لم يترك شيئًا. إذا ما تركتم بيتًا أو ذهبًا كثيراً فلا تفتخروا ولاتكتئبوا، لأنه ينبغى أن ندرك انه إذا لم ننكر كل شيء من أجل الفضيلة، فإننا سنتركها حتمًا عند الموت وفى الأغلب لأناس لا نريدهم، كما يذكر كاتب سفر الجامعة (أنظر الجامعة ٨:٤). إذن، لماذا لا ننكر كل هذه الأمور من أجل أن نرث الملكوت؟ لا نظهرنّ رغبة فى الحصول على النعم المادية والأمتلاك، إذ ما فائدة الحصول على أمور لن نستطيع أن نأخذها معنا؟ فلماذا لا نقتنى الأمور التى نستطيع أن نأخذها معنا، وهى الحكمة والتعقل والبر والعدل والاعتدال والفطنة والرجولة والشجاعة والفهم والمحبة والرحمة والإيمان بالمسيح واللا غضب ومحبة الغرباء؟ ان اقتنيناها نجدها

قبلنا هناك، حيث ستهيئ لنا ترحيبًا فى أرض الودعاء القلب.

وجوب عدم التغافل عن الجهاد :

١٨ - على الواحد منّا أن يقنع نفسه بهذه الأفكار غير متراخ فيها، وعلى الأخص إذا فكّر فى انه عبد الرب وأن من واجبه خدمة السيد. فكما لا يجرؤ العبد على القول : إننى اشتغلت فى الأمس فلن أشتغل اليوم، بل أنه لا يتوقف عن العمل، إذ لا يحسب الأيام التى أشتغل فيها، بل يظهر النشاط عينه (كما كتب فى لوقا ١٧:٧-١٠) كى يعجب سيده، وكى لا يعرّض حياته للخطر، هكذا فلنثبت فى نسكنا كل يوم عالمين بأننا إذ تهاونا يومًا واحداً، فلن يسامحنا الله من أجل ماضينا الحسن، بل سيغضب علينا لتهاوننا وتغافلنا وهذا ما سمعناه من النبى حزقيال (حز ١٨:٢٦) بأن يهوذا خسر فى ليلة واحدة تعب الماضى.

لنحذر من التراخى والاهمال :

١٩ - لننصرف إلى حياة النسك من دون تغافل، لأن الرب عامل معنا، كما كُتب : «أن كل الأشياء تعمل معًا لخير الذين يحبون الله» (رومية ٢٨:٨). ولكى لا نقع فى التراخى والاهمال نتذكر قول الرسول : «إننى أموت كل يوم » (اكو ١٥:٣١) لأننا إذا ما عشنا

وكأننا نموت كل يوم فلن نخطأ. ومعنى هذا هو أننا عند نهوضنا من النوم فى كل يوم فلنفكر فى أننا لن نعيش حتى المساء، وعند انطلاقنا إلى النوم فلنفكر فى أننا قد لا نقوم، لأن حياتنا مجهولة بطبيعتها. فالعناية الإلهية هى التى تهب لنا الحياة كل يوم. إذا سيطرت هذه المشاعر علينا وعشنا على هذا المنوال لن نخطأ ولن تعترينا رغبة أو شهوة شريرة، ولن نغضب أو نتكل على أحد، ولن نكنز كنوزاً على الأرض. فلنكن عادمى القنية ولنسامح الجميع بكل ما أساؤوا إلينا، وكأننا نموت كل يوم. لا نُبقِينّ فى داخلنا شهوة إمرأة أو أية لذة شريرة، ولنبتعد عنها، لأنها عابرة ولنجاهد ناظرين دائمًا إلى يوم الدينونة، لأن الخوف العظيم من العذاب والصراع ضد التجارب يدمران سهولة اللذة ويخلينا من الشهوات وينهضان النفس الساقطة.

حفظ النفس للرب كوديعة:

٢٠ - بما أننا ابتدأنا بالسير وسرنا الآن فى طريق الفضيلة، فلنجاهد أكثر لنتقدم إلى الأمام، فلا يُرجع أحد منّا رأسه إلى الخلف كإمرأة لوط، إذ أن الرب قال: «ما من أحد يضع يده على المحراث ويلتفت إلى الوراء، يصلح لملكوت الله» (لوقا ٦٢:٩، فى ١٣:٣، تك ٢٦:١٩) فإن إرجاع الرأس إلى الخلف ما هو إلا تغيير فى الرأى

وتفكير دنيوى. لا تخافوا عندما تسمعون عن الفضيلة، ولايدهشكم اسمها، لأنها ليست بعيدة منّا وليست خارج أنفسنا بل فينا. إنها أمر سهل يكفى أن نريده. ان اليونانيين يسافرون ويعبرون البحر لتحصيل العلم، لكننا نحن لا نحتاج إلى السفر من أجل ملكوت السموات، ولا إلى عبور البحر من أجل الفضيلة، لأن الرب سبق فقال: «ان ملكوت السموات هو فيكم» (لوقا ٢١:١٧).

إذن، ان الفضيلة تحتاج إلى إرادتنا فقط، لأنها فينا ولأنها تثبت من خلالنا. وهى تُكتسب عندما يتوق الجزء الروحى من النفس بالطبيعة إليها. هذا التوق يتم عندما تبقى النفس كما خلقت جميلة ومستقيمة. لذلك قال يشوع بن نون إلى الشعب فى وصيته إليهم: «اجعلوا قلوبكم مستقيمة فى طريق الرب إله اسرائيل» (يشوع ٢٣:٢٤). ويوحنا قال: «اجعلوا سبله مستقيمة» (مت ٣:٣). ان روحانية النفس هى من طبيعتها، أى أن تكون مستقيمة كما خُلقت، أما انحرافها فيعود إلى الفساد الحاصل فى طبيعتها، وهذا ما يسمى بشرّ النفس. ليس الأمر عسيراً، لأننا إذا بقينا كما خلقنا الرب فسنكون فى الفضيلة، أما إذا فكرنا فى الشر، فسنُدان كأشرار. ان اكتساب الفضيلة سيكون صعبًا عندما نضطر للبحث عنها خارج

أنفسنا. أما إذا كانت فينا فلنحفظ أنفسنا من الأفكار الدنسة، ولنضعها عند الرب وكأننا تسلمناها وديعة منه، حتى يعرف هو خلقه وحتى تكون كما خلقها تمامًا.

لنحذر من أعدائنا لأنهم فى غاية المكر والدهاء :

٢١ - فلنجاهد كى لا يطغى علينا الغضب ولا تتسلط علينا الشهوة، لأنه كُتب : «ان غضب الإنسان لا يصنع بر الله» (يعقوب١ : ٢٠). «الشهوة إذا حبلت ولدت الخطيئة، والخطيئة إذا نضجت ولدت الموت» (يعقوب ١ : ١٥). فلنكن حذرين وصاحين فى سيرتنا، حتى نحفظ أنفسنا بكل حرص (أنظر أمثال ٤ : ٢٣)، لأن أعداءنا مرعبون وخداعون، انهم الشياطين الأشرار، وصراعنا هو ضدهم كما قال الرسول : «فنحن لا نحارب أعداء من لحم ودم، بل أصحاب الرئاسة والسلطان والسيادة على هذا العالم، عالم الظلام : نحن نحارب الأرواح الشريرة فى الجو» (أفسس ٦ : ١٢). جمهرتهم كثيرة فى الجو الذى يحيط بنا، وهى ليست بعيدة عنا، وأنواعهم متعددة أيضًا. فالكلام كثير على طبيعتهم وأنواعهم، على أن وصفهم هو عمل من هم أرفع منّا، أمّا الشىء الضرورى والملحُّ تعلّمهُ فهو ان خداعهم موجه ضدنا.

كيف نحصل على موهبة تمييز الأرواح :

٢٢ - ينبغى أن نعرف أولاً أن الشياطين لم يخُلقوا شياطين، لأنهم يحملون هذا الإسم، فالله لم يخلق أى شر. خلقهم الله صالحين، لكنهم سقطوا وابتعدوا عن الحكمة الإلهية، فأخذوا يدبون على الأرض فساداً ثم خدعوا اليونانيين بالخيالات، والآن هم يحاولون خداعنا، إذ يحسدون المسيحيين. انهم يريدون أن يعيقونا ويمنعونا عن الإرتفاع إلى السموات، لكى لا نرتفع إلى المكان الذى سقطوا منه.

وهكذا نحتاج إلى الصلاة الكثيرة والنسك، لكى نحصل من الروح القدس على موهبة تمييز الأرواح، وعلى معرفة خصائصها : أى روح أقل شراً وأى روح أكثر شراً ؟ ما هو سعى كل واحد منها ؟ وكيف يُطرد ويُهزم؟ فحبائلهم ووسائل هجومهم متعددة. ان الرسول المطوَّب وتلاميذه عرفوا حبائل الشيطان : «نحن لا نجهل أفكاره» (٢ كور ٢ : ١١). يجب على كل واحد منّا أن يصلح الآخر وفقًا لخبرته مع الشياطين، وأنا بما أننى أملك بعض الخبرة معهم فسأحدثكم عنها يا أولادى.

لا مبرر للخوف من اغراءات الشيطان :

٢٣ - إذا ما رأى الشيطان ان المسيحيين عامة والرهبان خاصة يتقدمون روحيًا ويحبون الجهاد يسعى إلى تجربتهم ناصبًا لهم عثاراً فى الطريق، أى أفكاراً شريرة. فلا تخافوا من هجماتهم، لأنهم يهزمون حالا بالصلوات والأصوام والإيمان بالرب. لكنهم لا يتوقفون عن الهجوم، بل يقتربون بغش وخبث ومكر. فعندما لا يستطيعون خداع القلب بشهوة دنسة وظاهرة ينقَضّون بطريقة أخرى، فيثيرون التخيلات لإخافته، آخذين شكل النساء والوحوش والزحافات والأجساد الضخمة والجيوش الكثيرة. لا نرتعب من هذه التخيلات ولا نخاف من مظاهرها الخداعة، لأنها ليست بشيء وتختفى بسرعة، لا سيما عندما يحمى المرء نفسه بالإيمان وبإشارة الصليب. انهم وقحون جداً وذوو صفاقة ولا يستحون قط لأنهم يهجمون بأسلوب آخر إذا هزموا، فيدعون أنهم يتنبأون عما سيحدث بعد أيام، مظهرين أنفسهم مديدى القامة أى حتى السقف وذوى ضخامة فى العرض لكى يخدعوا بالتخيلات أولئك الذين لم ينخدعوا بالأفكار. أما إذا وجدوا النفس مشددة ومحصنة بالإيمان وبرجاء وثبات الفكر، فإنهم يطلبون مساعدة رئيسهم.

٢٤ - ثم قال أنطونيوس : إن الشياطين تظهر غالبًا على هذا

النحو، كما كشف الرب لأيوب بقوله : «عيناه كهدب الصباح، من فمه تخرج مصابيح مشتعلة. وشرار نار يتطاير منه. من منخريه يخرج دخانًا من قدر منفوخ أو من مرجل. نَفَسَه يشعل الجمر، واللهيب يخرج من فمه» (ايوب ٤١:١٨-٢١). هكذا يظهر رئيس الشياطين، كما قلت سابقًا، مرعبًا ومتكلمًا بفخر وإعتزاز، كما أدانه الرب حين قال لأيوب «يحسب الحديد كالتبن، والنحاس كالعود النخر» (أيوب ٤١:٢٧). «يحسب البحر كأنه حمام ماء، وقعر الهاوية كأنه أسير له، واللجة كأنها ممر له» (ايوب ٤١:٢٤،٢٥) وكما قال على لسان النبى : «قال العدو : أتبعهم فألحقهم» (خروج ١٥:٩) وقال على لسان نبى آخر : «سأقبض بيدى على المسكونة كلها، مثلما أقبض على العش، وسأرفعها كما يرفع المرء البيض المهجور» (أشعياء ١٠:١٤). هذه الأمور يحاولون أن يفخروا بها، ويعدون بها الذين يتقون الله ليخدعوهم. لذلك يجب علينا نحن المؤمنين ألا نخاف من ظهوراته، وألا نأبه لكلماته، لأنه كاذب ولا يتكلم بالصدق أبداً، إذ على الرغم من كثرة هذا الإفتخار فى الكلام والوقاحة، فإن المخلص قبض عليه بصنارة كتنين كبير (أى ٤١:١)، وكدابة وضع الرسن فى فكيها، وكهارب أوثق منخره بخطام وثقب شفتيه ببُرّة، فأوثقة الرب كعصفور

حتى نسخر منه. ومعه الشياطين رفقائه كالحيات والعقارب (أنظر لوقا ١٠:١٩) كى نسحقها وندوسها نحن تحت أقدامنا، والبرهان على هذا هو أننا نعيش رغمًا عنه وضده. فالذى يزعم أنه سيجفف البحر وسيصبح سيد المسكونة لا يستطيع أن يعيق نسكنا ولا يستطيع أن يعيقنى أنا الذى أتكلم ضده الآن. فلنعرض عن أقواله، لأنه يكذب، ولنتشجع أمام تخيلاته ولا نخشى رؤياه، لأنها تكذب أيضًا. لأن الضوء الذى يظهر عن طريق التخيلات ليس حقيقيًا، بل هو مقدمة وصورة وعينة من نار جهنم المعد له، أى أنهم يخيفون الناس بما سيعذبون به. ان أشباحه وتخيلاته تظهر وتختفى سريعًا دون أن تسبب أذى لأى مؤمن، فهى تعطى صورة عن النار التى ستنالها هى نفسها فلا يليق أن تخافوا من فنونها، لأنها تصبح عدمًا بنعمة المسيح.

٢٥ - الشياطين مخادعة وقادرة على أن تأخذ الشكل الذى تريده. فكثيراً ما تتظاهر وهى مختفية بأنها ترتل، وبأنها تذكر كلمات من الكتاب المقدس. وأحيانًا تردد ما نقرأه وكأنها صدى. وتارة تنهضنا للصلاة، كى لا ننام، بل إنها تفعل هذا باستمرار بحيث لا تسمح لنا بالنوم. وطوراً تتخذ شكل الرهبان متظاهرة انها تتكلم بتقوى لكى

تخدعنا بهذا الشكل، فتجرّ الذين خدعتهم إلى حيثما تريد. لذلك يجب ألا نصغى إليها حينما تنهضنا للصلاة وحينما تنصحنا ألا نأكل أبداً وحينما تتظاهر بأنها تتهمنا وتوبخنا فى أمور وافقتنا فيها سابقًا، فهى لا تفعل هذا عن تقوى أو عن حق، بل لتقود المستقيمين إلى اليأس، ولتظهر لهم أن الحياة النسكية غير مفيدة، فتثير فيهم الاشمئزاز وتجعلهم يظنون بأن الحياة الرهبانية حمل ثقيل وأمر شاق، وبهذا تعيق الذين يعيشونها رغمًا عنهم.

يجب ألا تبالى بالشياطين حتى إن تكلمت بالحق :

٢٦ - ان النبى الذى أرسله الله ينظر إلى تعاسة الشياطين قائلاً : «ويل لمن يسقى قريبه بغية خداعه بعد أن يسكر» (حبقوق ٢:١٥). هذه الحبائل والأفكار الشريرة تبعد الناس عن طريق الفضيلة. مع أن الشياطين قالت الحقيقة للرب - «انك أنت هو ابن الله» (لوقا ٤:٤١) - فهو أغلق أفواهها وأعاقها عن الكلام خوفًا من أن تزرع الشر مع الحق، ومن أن نألفها ونصغى إليها، حتى لو نطقت بالحق. فمن غير اللائق أن نتعلم من الشيطان الذى لم يحافظ على مركزه، والذى اعتقد بأمور بدل أمور أخرى ونحن نملك الكتاب المقدس والحرية التى تنبع من المخلص. وحتى عندما يستخدم كلمات الكتاب

يمنعه الرب: «قال الله للخاطئ: لماذا تتحدث عن حقى ويتلفظ لسانك بعهدى؟» (مزمور ٥٠:١٦). ان الشياطين تستخدم كل الوسائل لخداعنا، فتتكلم وتثير ضجيجًا وتتنكر وتضطرب لخداع المستقيمين وتخلق ضربات وتضحك بجنون وتصفر، وإذا لم يلتفت أو يصغ المرء إليها فإنها فى الحال تبكى وتنوح كمهزومة.

الاقتداء بشجاعة القديسين :

٢٧ ـ ان الرب أبكم أفواه الشياطين. وبما أننا تلقّنا درسًا من القديسين فيجب أن نفعل مثلهم ونقتدى بشجاعتهم، لأنهم عندما رأوا هذه الأمور قالوا: «حينما وقف الخاطئ قبالتى أغلقت أذنى، أذللت نفسى، ولزمت الصمت عن الخير» (مزمور ٣٩:٢-٣). وكذلك «كنت كأصم لا يسمع وكأخرس لا يفتح فمه وصرت كإنسان لا سمع له» (مزمور ٣٨:١٣-١٤). لذلك يجب ألا نصغى إليها لأنها غريبة عنّا، وألا نطيعها حتى عندما توقظنا للصلاة أو تتكلم على الصوم. ولنتمسك بتصميمنا على النسك دون أن ننخدع بما تفعله بغش، حتى لو ظهرت أنها تنقضّ علينا أو تهددنا بالموت. فهى ضعيفة ولا تقوى على شىء سوى التهديد.

الشياطين بلا قوة ولكنها تقوم بالتهديد :

٢٨ ـ كلمتكم حتى الآن عن الشيطان بإيجاز، ولا أجد صعوبة فى أن أتكلم عليه الآن بتوسع، لأن تكرار الكلام هو من أجل أمانكم الروحى. بسكنى الرب وتجسده بيننا سقط العدو وضعفت قوة شياطينه، وأصبح عاجزًا عن تحقيق أى شىء. لكن بما أنه طاغية وساقط فهو لا يهدأ، بل يهدد حتى لو كان تهديده بالأقوال فقط. فليضع كل منّا هذه الأمور فى فكره، فإنه يقوى على احتقار الشياطين. لو كانوا ذوى أجساد مثلنا، لكانوا قادرين على الزعم بأننا لا نجد الناس عندما يختبئون، لكن عندما نجدهم نؤذيهم. ونحن أيضا ننجو منهم عندما نختبئ، كما أننا نستطيع أن نغلق الباب أمامهم.

وإذا لم يكونوا كذلك فإنهم يستطيعون أن يدخلوا والأبواب مغلقة، وان يكونوا حاضرين فى الفضاء كله، وعلى رأسهم إبليس. الشياطين تبتغى الشرّ وتستعد دائمًا لإيذاء الناس، كما قال الرب أن الشيطان أب الشر وقتّال الناس. وطالما اننا أحياء، وبالأولى اننا نحيا فى مقاومتها بشدة، يتضح أنها ضعيفة وعديمة القوة ولا تقوى على شىء، إذ الأمكنة لا تعرقل مؤامرتها. ثم هى لا تنظر إلينا كأصدقاء، فتشفق علينا وتعفو عنا، ولا تحب الخير كى نفعله، بل هى شريرة وتسعى إلى إيذاء الذين يحبون الفضيلة ويتقون الله. وبما أنها لا

تقدر على شيء تلجأ إلى التهديد، إذ لو كانت ذات قوة لما ترددت فى ارتكاب الشر حالا. فهذه هى رغبتها وعلى الأخص ضدنا. فهوذا نحن الآن اجتمعنا فى هذا المكان لنتكلم ضدها، وهى على يقين بأننا بالقدر الذى نتقدم فيه روحيا تضعف هى. فلو كانت تملك القوة لما تركت مسيحيًا واحداً منّا على قيد الحياة. «ان اتقاء الله مقت للخاطئ» (حكمة سيراخ ١:٢٥). انها تلجأ إلى تجريح نفسها أكثر فأكثر، لأنها لا تحقق شيئًا من الأمور التى تهدد بها. ولذلك يجب أن نتذكر عدم مخافتها. فلو كانت تملك قوة لما أتت بجمهرة وأعداد كبيرة ولما خلقت تخيّلات ولما غيّرت أشكالها، ولما استخدمت الخيالات. إذ يكفى ان يأتى واحد منها ويفعل ما يريده. بل إن كل ذى سلطان لا يلجأ إلى القتل بالخيال ولا يثير الرعب بالضجيج، بل يستخدم قوته وسلطانه بسرعة كما يشاء. لكن بما أن الشياطين لا قدرة لها، فهى تمثل وكأنها على المسرح مغيّرة شكلها ومرعبة الأطفال بأشباحها المخيفة وأشكالها، فيكون ضعفها سببًا لاحتقارها. وعلى سبيل المثال فإن الملاك الحقيقى الذى أرسله الرب ضد الأشوريين لم يكن بحاجة إلى الجماهير ولا إلى ضجيج ولا إلى خيالات كاذبة ولا إلى ضربات أو أصوات، بل استخدم سلطانه بهدوء وبدون خوف وقتل دفعة واحدة مئة ألف وخمسمائة وثمانين ألف رجل (٢مل ١٩:٣٥). أما الشياطين التى لا قوة لها فترعب الناس ولو بالخيالات والأشكال المصطنعة.

ضعف الشياطين:

٢٩ - إذا فكر الإنسان فى آلام أيوب وتساءل: لماذا حرك الشيطان كل الأمور وجرّده من ممتلكاته وقتل أولاده وضربه بقرح ردىء (أيوب ١:١٥-٢٢، ٢:١-٧)؟ فليعرف بأن الشيطان ما كان يملك أية قوة لفعل هذه الأمور، لو لم يسمح له الله من أجل امتحانه أيوب. وحيث أنه لا يقدر على أى شيء، طلب السماح من الله، وعندما حصل على ذلك فعل ما شاء. من هنا كان العدو مستوجبًا الدينونة ويزداد افتضاحه، لأنه لا يستطيع أن ينزل الشر بإنسان واحد بار وصديق حتى لو أراد ذلك. فلو كان قادراً لما طلب الاذن من الله. وبما أنه لم يطلب مرة واحدة بل مرتين ظهر انه ضعيف وغير قادر على شيء ومفتقر إلى القوة. وعجزه عن أن يفعل شيء ضد أيوب ليس غريبًا، لأنه لو لم يسمح له الله لما استطاع القضاء حتى على حيوانات أيوب. إذ لم يقو حتى على الخنازير، كما كُتب فى الإنجيل حينما قالت الشياطين للرب: «فأذن لنا ان نذهب إلى قطيع الخنازير» (متى ٨:٣١). إذا كان الشيطان لا يملك السلطة على الخنازير، فكم بالحرى على البشر الذين هم مخلوقون على «صورة الله».

وجوب احتقار الشياطين:

٣٠ - يجب، إذن، أن نخاف الله وحده وان نحتقر الشياطين بلا خوف. بل كلما أكثرت من فعل هذه الأمور، يجب أن نكثّف نسكنا ضدها، لأن السلاح الكبير ضد الشياطين هو حياة صالحة مستقيمة

وإيمان بالله. فهى تخاف صوم النسّاك وسهرهم وصلواتهم ووداعتهم وسكينتهم وعدم محبتهم للفضة وكرههم للمجد الباطل، واتضاعهم ومحبتهم للفقراء وإحساناتهم وعدم غضبهم، وقبل كل شىء إيمانهم بالمسيح. النسّاك يفعلون هذه الأمور، لكى لا تخدعهم الشياطين، ولأن الشياطين يعرفون النعمة التى وهبها المخلص للمؤمنين ضدهم. «ها أنا أعطيكم سلطانًا تدوسون به الحيّات والعقارب وكل قوة للعدو» (لوقا ١٠:١٩).

عجز الشياطين عن التنبؤ بالمستقبل:

٣١ - إذا ما تظاهرت بالتنبؤ، لا تبالوا بها. فهى تعلن قبل أيام عن الإخوة الذين سنلتقى بهم بعد تلك الأيام، فيأتى أولئك فعلا. وهى لا تفعل هذا لاهتمامها بالسامعين، بل لكى تقنعهم فيثقوا بها أكثر. لكن بعد أن يصبحوا ملك أيديها تنقض عليهم وتهلكهم. لذلك يجب ألا ننصت إليها عندما تتنبأ بل يجب أن نخرسها، لأننا لا نحتاج إليها. فما هو العجب، ان كانت ذوات أجساد أكثر خفة من أجساد الناس، فتراهم حينما يبدأون السير، وتسبقهم فى الطريق معلنة قدومهم ؟ هذا ما يقدر أن يتنبأ به أى فارس، لأنه يسبق الذى يسير على قدميه. فلا نعجب من هذه المقدرة، لأنها لا تعرف الأمور التى لم تحدث. ولكن الله وحده هو الذى يعرف كل شىء قبل حدوثه. هى تركض كسارقة لتعلن ما تراه. فإلى كم من الناس تعلن الآن ما يختص بنا، نحن الذين اجتمعنا ضدها، فقبل أن يترك الواحد منّا المكان تسرع

لتخبر عنه. هذا ما يستطيع أن يقوم به ولد يقوى على الركض بسرعة، لأنه يسبق الذى يسير ببطء. أعنى أنه إذا ابتدأ بالسير من طيبة، أو من أى مكان آخر، فإنها لا تقدر ان تعرف قبل انطلاقه ما إذا كان سيسير ولكنها عندما تراه سائراً فإنها تركض لتعلن عن قدومه قبل وصوله. وهكذا يأتى الرجل بعد أيام. كثيراً ما يعود السائر قبل أن يصل فيتضح كذب الشياطين.

٣٢ - أحيانا تثرثر بالطريقة ذاتها حول مياه الأنهار، أى أنها ترى الأمطار وهى تهطل فى مناطق الحبشة، فتدرك ان المياه ستسبب فيضانًا فى النيل. لذلك تركض لتخبر عن الفيضان قبل وصول المياه إلى مصر. لو كان الناس يستطيعون العدو مثلها، لأخبروا عن الأمر. وكما ان حارس (أو مخبر) داود صعد إلى مكان عال فرأى رجلاً وهو يقترب أفضل مما رآه الذى كان فى الأسفل. لذلك سبق الآخرين وأخبر داود. هذا يعنى انه لم يخبر بالأمور التى لم تحدث، بل بالأمور التى كانت تجرى فى الطريق وتحدث فيها (صموئيل الثانى ١٨:٢٤). فالشياطين تفضل أن تتعب نفسها وتخبر الآخرين بما يحدث، حتى تخدعهم. لكن إذا رتبت العناية الالهية شىء آخر يتعلق بالماء أو بالمسافرين - وهى تملك القدرة على ذلك - تظهر الشياطين كاذبة وتظهر الذين آمنوا بها أنهم مخدوعون.

٣٣ - هكذا انتشر فى الأيام الماضية سحر اليونانيين (الوثنيين)، وهكذا خدعتهم الشياطين. لكن هكذا توقف الضلال

أيضًا، لأن الرب أتى وأبطل الشياطين مع مكايدها وحبائلها. لأنها لا تعرف شيئًا من تلقاء ذاتها، بل تنقل كاللصوص ما تصادف أن تراه عند الآخرين. وهى تقوى على التخمين لكنها لا تقوى على المعرفة السابقة أو التنبؤ بالحوادث لذلك ينبغى ألا نعجب بها، حتى لو تكلمت بالصدق أحيانًا. فالأطباء ذوو الخبرة، عندما يجدون المرض نفسه عند الآخرين يتأملون فيه ويخبرون مسبقًا عنه بخبرتهم. هذا ما يفعله أيضًا قوّاد السفن والفلاحون، الذين ينظرون إلى حالة الطقس، فينبئون من خلال خبرتهم، إذا كان الهواء سيكون عاصفًا أو لطيفًا. فلا يزعم أحد بأن الشياطين تتنبأ بوحى إلهى، إذ تنطق من خلال خبرتها وتمرسّها. فإذا تنبأت عن بعض الأمور من خلال تخميناتها، فلا يتعجبنّ أحد منها ولا يصغين إليها. فماذا ينتفع الذين يصغون إلى الشياطين، إذا ما عرفوا المستقبل قبل أيام؟ لماذا يهتمون بمعرفة المستقبل منها، حتى لو كانت هذه المعرفة صحيحة؟ فالمعرفة لن تصنع الفضيلة ولن تكون علامة للخلق الصالح. لأنه لن يدان أحد منّا، لأنه يجهل المستقبل، ولن يطوّب إذا ما عرفه، إذ أن المرء سيُحاكم على صونه للإيمان وحفظه للوصايا.

٣٤ - فلنعرض عن إعطاء الشياطين أية قيمة أو أهمية، كذلك يجب ألا نتعب فى حياة النسك للحصول على نعمة معرفة المستقبل، بل لإرضاء الله بسيرتنا، وألا نصلى للحصول على موهبة العلم بالمستقبل، وألا نطلب هذا كأجرة لنسكنا، بل ليكن الرب معينا لنا فى

انتصارنا على الشيطان. أما إذا اهتم أحدنا بمعرفة المستقبل فليطهر فكره، لأننى أؤمن بأن النفس المتطهرة من الأفكار الشريرة والمحافظة على الطبيعة التى خلقها الرب فيها، تقدر أن تكون رائية أكثر، وأن تنظر بنقاوة إلى أبعد مما يراه الشيطان. فهى تملك الرب الذى سيعلن لها كل شىء. كنفس النبى أليشع التى رأت كل ما سيفعله جيحزى (٢مل ٥:٢٦) وكل القوات الموجودة فى الجبل (٢مل ٦:١٧).

رؤية القديسين:

٣٥ - إذا ما أتتكم الشياطين ليلاً وأرادت التحدث عن المستقبل أو قالت: نحن ملائكة، فلا تنصتوا إليها، لأنها كاذبة. وإذا ما مدحت نسككم وطوّبتكم فلا تقتنعوا بما تقوله لكم ولا تنصتوا إليها. بل اختموا أنفسكم وبيوتكم بإشارة الصليب وصلّوا، ثم انظروا إليها فتجدوها انها تختفى لأنها فى غاية الجبن. فهى تخاف من إشارة الصليب لأن المخلص عرّاها من كل قوة مشهراً إياها (كو ٢:١٥). لكن إذا ما أصرت على إزعاجكم بوقاحة أشد، آخذة بالرقص وتغيير الشكل، فلا تخافوا ولا تصغوا إليها كصالحة. إذ من السهل تمييز مظاهر الأرواح الشريرة عن الأرواح الصالحة، لأن الرب يعطينا قوة هذا التمييز. فظهور الأرواح الصالحة ليس مرعبًا، لأنها لا تجد فى ظهورها من تتصارع معه ومن يصرخ ويسمع صوتها (أشعياء ٤٢:٢). ظهور هذه الأرواح هادئ وصامت ورقيق، ويخلق فرحًا فى النفس وبهجة وشجاعة. فالرب معها وهو فرحنا وهو قوة الله الآب. أما

الأفكار التى تخلقها هذه الظهورات فتجعل النفس غير متزعزعة وكأنها قد استنارت من هذا الفرح، فتعرف ما هى الأرواح التى تظهر لها، إذ أن الشوق الإلهى وشوق الخيرات الآتية تتملكان النفس، فتبتغى أن تنضم إليها وأن ترحل معها بكليتها إن استطاعت. إذا كان هناك من يخاف ظهور الأرواح الشريرة، فهذه الأرواح (المصالحة) تطرح عنهم الخوف جانبًا بالمحبة التى تظهرها، كما فعل جبرائيل الملاك مع زكريا (لوقا ١:١٣)، وكما فعل الملاك الذى ظهر للنسوة عند قبر الرب (متى ٢٨:٥). وكما فعل ذاك الذى ظهر للرعاة وقال لهم: «لا تخافوا» (لوقا ٢:١٠). ان خوف أولئك لم يكن نتيجة الجبن، بل نتيجة اليقين بظهور الملائكة الصالحين وبحضور كائنات أعلى، وهذا هو ظهور الملائكة القديسين.

الاضطراب المرتبط بهجوم الشياطين:

٢٦ - أما هجوم الأرواح الشريرة وظهورها الخيالى فيرافقه جلبة وضربات وأصوات وصراخ، كهجوم الأولاد الأشرار واللصوص. فحين ظهورها يسيطر الرعب واضطراب النفس وتشويش الفكر والكآبة وكره النسّاك والكسل والحزن وتذكر الأقرباء وخوف الموت. وفوق ذلك رغبة فى الشر وكسل فى اكتساب الفضيلة واضطراب فى الخلق. لذلك إذا رأيتم روحًا واعتراكم الخوف أولاً ثم حلّ محله فرح لا يعبر عنه وحماس وشجاعة وجرأة وقوة وهدوء الفكر ومحبة لله، فتشجعوا وصلّوا للرب. هذا الفرح واستقرار النفس والطمأنينة يظهران قداسة

الملاك الحاضر. وهكذا أحس ابراهيم بالفرح الروحى عندما رأى السيد الرب وارتكض أيضا يوحنا السابق من الفرح عندما تكلمت والدة الإله مريم (لوقا ١:٤١). لكن إذا ما رأينا أرواحًا وأثارت اضطرابا وضربات خارجية وتخيلات دنيوية وتهديداً بالموت وكل ما ذكرناه سابقًا، فلنعرف بأن هذا هجوم أرواح شريرة.

احتقار الشياطين يجعلهم يهربون:

٣٧ - وهذه أيضا علامة لكم: اعلموا بأن الرعب الذى يثار فى النفس هو دليل على وجود الأعداء، لأن الشياطين لا تطرح خوف الظهورات جانبًا - كما فعل الملاك جبرائيل مع مريم وزكريا والذى ظهر للنسوة عند القبر - بل إنها تزيد من ظهوراتها عندما ترى الذين يرتعبون خوفًا، لكى تكثر من خوفهم. وعندما تخضعهم تهزأ منهم قائلة: انحنوا واسجدوا. هكذا خدعت الوثنيين لتجعلهم يؤمنون بآلهة كاذبة، غير أن الرب لم يسمح للشيطان بأن يخدعنا، إذ وبّخه عندما ظهرت له الرؤية فى البرية فقال له: «ابتعد عنّى يا شيطان، لأن الكتاب يقول: للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد» (متى ٤:١٠). لذا يجب أن نحتقر دومًا المضل أكثر فأكثر، لأن الرب قال هذا الكلام من أجلنا. عندما تسمع الشياطين من فمنا الكلمات ذاتها، ستُهزم بقوة، هاربة من وجه الرب الذى وبخها على هذا النحو.

عمل المعجزات ليس من اختصاصنا :

٣٨ - لا يليق أن نفتخر بأننا نطرد الشياطين ولا ننتفخ بأننا نشفى المرضى، ولا نعجب ممن يملك سلطان طرد الشياطين ولا نحتقر من لا يملك هذا السلطان. لكن ليعرف كل منّا نسك الآخر كى يقتدى به وينافسه أو لكى يصلحه. ففعل العجائب ليس منا، بل من المخلص. لذلك قال الرب لتلاميذه: «لكن لا تفرحوا بأن الأرواح تخضع لكم، بل افرحوا بأن اسماءكم مكتوبة فى السموات» (لوقا ١٠: ٢٠). لأن كتابة أسمائنا فى السموات إشارة إلى فضيلة حياتنا، أما طرد الشياطين فهى موهبة معطاة من الرب. لذلك يقول للذين لا يفتخرون بفضيلتهم، بل بالآيات التى يفعلونها ويقولوا: «يا رب أما بإسمك نطقنا بالنبوءات؟ وبإسمك طردنا الشياطين؟ وبإسمك عملنا العجائب الكثيرة؟ فيقول لهم: ما عرفتكم مرة» (متى ٧: ٢٢-٢٣)، لأنه لا يعرف طريق الضالين والأثمة. وكما قلت آنفًا، ينبغى أن نصلى على الدوام كى نكتسب موهبة تمييز الأرواح، كى - كما كتب - «لا نصدق كل روح» (١يوحنا ٤: ١).

ثبات أنطونيوس أمام الشياطين :

٣٩ - كنت أود أن أصمت وألا أورد شيئًا عن حياتى مكتفيًا بما قلت، لكن لكى لا تظنوا بأن ما قلته سرد عادى، بل من خبرتى فى الحياة ومن حقائق ثابتة، فسأكمل الكلام حتى لو بدوت أحمق، وأقول كم من حبائله وتصرفاته الشريرة شاهدت بعينى. فالرب الناظر إلى

ضميرى النقى يعرف أننى لا أقول هذه من أجل نفسى، بل من أجل محبتى لكم ونصحكم. كثيراً ما طوبتنى الشياطين، لكننى باسم الرب انتهرتها! كم مرة تنبأت عن فيضان النيل، لكننى كنت أقول لها لِمَ هذا الاهتمام بالأمر وما لكم به؟! أتت مرة مهددة فأحاطت بى كالجنود المسلحين بالسلاح. ومرة ملأت البيت بالأحصنة والوحوش والزحافات، أما أنا فكنت أرتل: «هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيول، أما نحن فباسم الرب إلهنا نتعظم» (مزمور ٢٠: ٧). وبهذه الصلوات أبعد الرب بقوته الشياطين عنى. وأتت مرة فى الظلام حاملة نوراً خياليًا وقالت: أتينا لننيرك يا أنطونيوس. أما أنا فأغلقت عينى وصليت فانطفأ نور الأشرار للحين. بعد أشهر أتت ترتل المزامير وتتفوه بآيات كتابية، ولكننى كنت «كأصم لا يسمع» (مزمور ٣٨: ١٤). مرة أخرى هزّت القلاية كلها، أما أنا فكنت أصلّى محافظًا على عقلى وقلبى من التزعزع. بعد ذلك أتت تصفق وتصفر وترقص. لكن عندما بدأت أصلى، وعندما اضطجعت وأنا أرتل فى داخلى، ابتدأت تنوح وتبكى، وكأنها فقدت قوتها. وأنا مجّدت الرب الذى أخفق قوتها وأذلها، وأظهر وقاحتها وجرأتها وجنونها.

هروب الشياطين من أمام أنطونيوس :

٤٠ - ظهر مرة شيطان طويل القامة جداً بعظمة وفخامة وتجرأ على القول: أنا هو قوة الله، أنا هو العناية الإلهية. ماذا تريد أن أعطيك؟ أما أنا فذكرت اسم المسيح وبصقت عليه محاولاً لطمه،

واعتقد بأننى لطمته. وحالما سمع الطويل القامة اسم المسيح اختفى مع كل من معه. وكنت مرة أخرى صائما فأتى إلىَّ ذلك المخادع فى شكل راهب يحمل فى يديه خبزاً خيالياً ونصحنى قائلا: كل وكفّ عن العذابات والأتعاب الكثيرة، أنت إنسان وسوف تمرض. لكننى أدركت حيلته، ولذلك نهضت للصلاة. لكنه لم يحتمل فاختفى للحين وبدا كأنه يخرج من الباب كالدخان. كم مرة أظهر لى فى الصحراء ذهباً خيالياً حتى ألمسه وانظر إليه. لكننى كنت أرتل من كل القلب وذلك كان يذوب من شره ويختفى. كم مرة جرحنى وضربنى بجلدات وانا كنت أردد «لن يفصلنى شىء عن محبة المسيح» (رومية ٨: ٣٥). وللحال كان كل شيطان يجرح الآخر. لم أكن أنا الذى أوقفته وأبطلت عمله، وحطمت قوته، بل الرب القائل: «رأيت الشيطان يسقط من السماء مثل البرق» (لوقا ١٠: ١٨). أما أنا يا أولادى، فاننى أتذكر دائماً قول الرسول «جعلت من نفسى مثالاً» (١كور ٤: ٦)، لكى لا تتهاونوا فى نسككم، وكى لا تخافوا من تخيلات الشيطان وجيشه.

مجىء المسيح أضعف الشيطان :

٤١ - إن كنت قد صرت أحمق وأنا أقص عليكم هذه الأمور. لكن تقبلوها من أجل أمانكم ونجاتكم وشجاعتكم وصدقونى فإننى لا أكذب. قرع شخص باب الدير مرة، ولما خرجت وجدت شخصاً طويلاً وضعيفاً. عندما سألته من أنت؟ قال أنا هو الشيطان. ولما سألته لماذا أتيت إلى هنا؟ قال: لماذا يلومنى جميع الرهبان والمسيحيون باطلاً؟

ولماذا يلعنونى كل الوقت؟ عند ذلك قلت له: لماذا تزعجهم؟ قال: انا لا أزعجهم لأننى ضعيف. وهم الذين يضايقون أنفسهم ويجعلون أنفسهم مضطربة، ألم يقرأوا: «فنيت سيوف العدو كل الفناء. دمرت مدنهم» (مزامير ٩: ٦). إذن فأنا لا مكان لى ولا سلاح ولا مدينة. فالناس اعتنقوا المسيحية فى كل مكان، والصحراء امتلأت بالرهبان. يجب أن يحافظوا على أنفسهم ويحترسوا، وألا يلعوننى باطلا. حينذاك اندهشت من نعمة الرب وقلت له: مع أنك تتكلم دائما بالكذب، فانك قلت الآن الحقيقة دون أن تريد، لأن المسيح أتى حقًا وجعلك ضعيفا وطرحك إلى أسفل وجردك من قوتك وبانتصاره عليك عراك. فحالما سمع اسم المخلص لم يحتمل لهيبه وصار غير مرئى واختفى.

كيف نواجه الشياطين :

٤٢ - طالما أن ابليس نفسه يعترف بأنه لا يقوى على شىء، فمن الواجب أن نحتقره مع شياطينه احتقاراً تامًا. ان حبائله مع حبائل كلابه عديدة، لكننا نحن العارفين ضعفه نقوى على احتقاره. ولذلك ينبغى ألا نخسر شجاعتنا وألا ترتعب نفوسنا وألا تثار فى دواخلنا مخاوف فنقول: أترى سيأتى الشيطان ويقضى علينا ويحطمنا؟ هل سيقبض علىّ ويرمينى إلى الأسفل؟ أم أنه سيظهر فجأة ويختفى؟ لا ندعنّ أفكاراً كهذه تدور فى ذهننا ولا نحزن وكأننا هالكون. بل لنكن ذوى شجاعة وفرح وكأننا مخلصون واثقون أننا آمنون. ولنفكر فى أن

الرب الذى أضعفهم وحطم قوتهم وطاردهم وضيق عليهم الخناق هو معنا دائمًا. لنتذكر ولنضع فى فكرنا أن أعداءنا لن يستطيعوا أن يفعلوا شيئًا، ما دام الرب معنا. عندما تأتى الشياطين إلينا تعاملنا حسب حالتنا النفسية مكيفة التخيلات التى تثيرها وفق أفكارنا. فحينما تجدنا خائفين ومضطربين تهجم مثل اللصوص الذين يجدون المكان بلا حراسة، وتفعل بمغالاة ما تجدنا مفكرين فيه. وإذا ما وجدتنا خائفين وجبناء، فإنها تكثر من التخيلات والتهديدات كى تعذب النفس الشقية. أما إذا وجدتنا فرحين مع الرب ومسلّمين فى يديه كل شىء ومفكرين فى السعادة الأبدية والصالحات الآتية وواضعين فى فكرنا كل ما يُفرح الرب ومؤمنين بأنها لا تملك قوة على المسيحيين فإنها تبتعد خازية. هكذا عندما رأى العدو أيوب محصنًا جدا هرب من أمامه، لكنه إذ وجد يهوذا عاريًا من هذه الأفكار فأسره (يوحنا ٢٣: ٢٧). وهكذا إن أردنا إحتقار العدو يجب أن نتذكر دائمًا الالهيات وأن تكون نفسنا فرحة بالرجاء، فنرى فخاخ العدو تعلو كالدخان. والشياطين تهرب بدل من إن تطاردنا فهى جبانة وتنتظر دائما النار المعدة لها.

٤٣ - لتكن هذه العلامة الأكيدة عندكم كى تتشجعوا. فكلما ظهر للواحد منّا خيال لا يخاف، بل ليسأل بجسارة من أنت؟ ومن أين أتيت؟ فإذا كانت هذه الرؤية رؤية قدبسين، فإن أولئك سيطمأنونكم وسيحولون خوفكم إلى فرح، عندما يكون الفكر قويا وسائلاً من

أنت؟ ومن أين أتيت؟ هكذا سأل يشوع بن نون وعرف الرؤية (يشوع ٥: ١٣)، ودانيال لم يغفل عن العدو عندما سأله هذا (دانيال ١٠: ١١-١٨: ١٩).

ازدهار الحياة الرهبانية (٣٠٥م تقريبًا):

الصحراء مدينة المحبة:

٤٤ - سرّ الجميع بكلام أنطونيوس. فازداد حب الفضيلة عند البعض وانتفى التهامل والتراخى عند البعض الآخر وزال الكبرياء والغرور عند آخرين. فتعجب الجميع من النعمة التى وهبها الرب لأنطونيوس فى تمييز الأرواح، واقتنعوا بضرورة احتقار الهجمات الشيطانية. وتحولت الأديار فى الجبال إلى هياكل مقدسة ومساكن مملوءة بجماعات الأتقياء التى ترتل وتحب كلمة الرب وتصوم وتصلى وتفرح برجاء الخيرات الآتية وتجاهد فى الإحسان، واعطاء الصدقة، والتى سادت بينها المحبة والتآلف. ان المرء يستطيع ان يرى مكانًا يتقى الله ويحب الرب والتقوى والعدل فى طبيعته. فما من يظلم أو من يُظلم وما من يعيْر. بل فهناك مجموعة من النساك يجمعها فكر واحد هو اكتساب الفضيلة، حتى ان من يرى الأديار والنظام والانسجام بين النساك يصرخ: «ما أجمل مساكنك يا يعقوب وخيامك يا إسرائيل كأودية عميقة وكجنة على النهر وكخيام نصبها الرب وكالأرز قرب المياه» (عدد ٢٤: ٥-٦).

اهتمام أنطونيوس بالروحيات والنسكيات :

٤٥ - عاد أنطونيوس ليمارس النسك منفرداً وحده فى ديره ويكثف من نسكه ويتنهد يوميًا ويتذكر الأمور السماوية متشوقًا إليها ومتأملاً فى قصر حياة الإنسان. وعندما كان يزمع بالأكل أو النوم أو قضاء الحاجات الجسدية الضرورية الأخرى كان الخجل يعتريه، لأنه كان يفكر فى روحانية النفس. وعندما يأكل مع الرهبان الآخرين كان يتذكر الطعام الروحى فيتنحى عن موضعه، لأنه كان يظن بأنه سيحمر خجلاً، إذا ما رآه الآخرون وهو يأكل. لكن عندما كان وحيداً كان يأكل الكفاف بسبب حاجة الجسد. فكثيراً ما أكل مع الإخوة وهو خجل، لكنه كان يتعزى، لأنه كان يتكلم كلامًا نافعًا. فكان يقول انه يجب ان نخصص وقتًا للنفس أكثر من الجسد، وأن نسمح بوقت قصير للجسد بسبب الحاجة. ويجب أن نخصص كل الباقى للنفس وان نطلب منفعتها، لكى لا ننجذب بملذات الجسد، بل ان يخضع الجسد للنفس. هذا ما ابتغاه الرب من قوله: «فلا تطلبوا ما تأكلون وما تشربون ولا تقلقوا، فهذا كله يطلبه أبناء هذا العالم، وأبوكم السماوى يعرف انكم تحتاجون إليه. بل اطلبوا ملكوت الله، وهو يزيدكم هذا كله» (لوقا ١٢:٢٩-٣١)، (مت ٦:٢٥ و٣١-٣٣).

مساندته للشهداء أيام الاضطهاد (٣١١م) :

موقفه البطولى أثناء اضطهاد مكسيميانوس :

٤٦ - بعد ذلك حل بالكنيسة إضطهاد فى عهد مكسيميانوس. وعندما اقتيد الشهداء الأطهار القديسون إلى الاسكندرية كان أنطونيوس يتبعهم، لأنه ترك الدير قائلا: لنذهب نحن أيضًا، كى نجاهد إذا ما دعانا الرب أو حتى نرى المجاهدين. وقد تاقت نفسه بشوق نحو الاستشهاد، لكن بما أنه لم يشأ أن يسلم نفسه كان يخدم المعترفين بالايمان فى السجون والمناجم وكان يشدد غيرتهم ويشجعهم فى ساحة القضاء، إذ جاهد من أجل تشديد حماس المدعوين إلى المحاكمة. وكان يقبل الشهداء ويرافقهم حتى يكملوا الجهاد. ولما رأى القاضى شجاعته وشجاعة مرافقيه وغيرتهم أمر ألا يظهر أحد من الرهبان أثناء المحاكمة وألا يبقوا فى المدينة. ولذلك فكر الرهبان الآخرون أنه من الأصلح الاختفاء فى ذلك اليوم، أما أنطونيوس لم يبال بهذا الأمر، بل غسل ثوبه جيداً ووقف فى اليوم الثانى فى مكان مرتفع أمام القائد حتى يراه بوضوح. فتعجب الجميع من شجاعته، لأنه كان يسير مع رفاقه دون خوف أمام القائد، مظهراً الغيرة التى نتمتع بها نحن المسيحيين. كما كان يصلى لكى يستشهد، كما قلت سابقًا، وكان يبدو حزينا لأنه لم يستشهد لكن الرب حفظه من أجل منفعتنا ومنفعة الآخرين، حتى يكون معلمًا للكثيرين عن النسك الذى تعلمه من الكتاب المقدس. وعندما رأى الكثيرون أسلوب حياته

أظهروا رغبة فى أن يقتدوا به. هكذا كان يتبع المعترفين بالايمان كى يخدمهم مُجداً فى الأمر وكأنه أسير معهم.

عجائبه :

٤٧ - عندما توقف الاضطهاد الذى استشهد فيه الأسقف بطرس الكلى الطوبى فى ٢٥ نوفمبر ٣١١م. عاد أنطونيوس إلى الدير ليقدم فى كل يوم شهادة الضمير، مجاهداً فى سبيل الإيمان وفى سبيل ممارسة نسك أكبر وأكثف وأشد صرامة. فكان يصوم دائما متخذاً لنفسه لباسًا من الجلد مكسواً بالشعر من الداخل. وارتدى هذا اللباس حتى موته، فكان لا يغسل جسده بالماء لينظفه، ولا يغسل رجليه، بل لا ينهض ليضعهما فى الماء بدون ضرورة ملحة. لم يشاهده أحد وهو يخلع ثيابه، ولم يشاهد أحد عُرى جسده إلا عندما مات ودفن.

اشتياقه الشديد للاعتزال :

٤٨ - عندما قرر الاعتزال طويلا فى منسكه لا يستقبل أحدا من زائريه، أتى إليه قائد للجيش اسمه مرتينيانوس مع جمع كبير واقلق راحته، لأن ابنته كانت تعذبها الشياطين. ولما أمضى وقتًا طويلا وهو يقرع الباب بصبر، راجيًا منه أن يخرج كى يصلى إلى الله من أجل ابنته لم يحتمل أنطونيوس أن يكسر قانونه ويفتح الباب بل أطل عليه من فوق دون أن يفتح الباب وقال له: لماذا تنادينى أيها الانسان صارخًا؟ أنا إنسان مثلك. فإذا كنت تؤمن بالمسيح الذى أعبده، اذهب

وصلّ إليه كما تؤمن فتستجاب طلبتك. للحين إنصرف القائد مؤمنا أن الله سيشفى ابنته بصلاة القديس وطالبا مساعدة يسوع، فتطهرت ابنته من الشيطان. وهكذا فعل الله بواسطة أنطونيوس عجائب كثيرة، فهو القائل «أسألوا تعطوا أطلبوا تجدوا» (لوقا ١١:٩). فكثير من المتألمين كانوا يشفون وهم نائمون خارج قلايته مؤمنين ومصلين بصدق.

سكناه فى الصحراء الداخلية :

٤٩ - لما رأى أنطونيوس ان الناس يزعجونه ولا يفسحون له المجال لممارسة النسك كما يرغب ويريد، ولما خاف من أن يفتخر بالأمور التى يفعلها الرب بواسطته أو أن يتكبر أو أن يظنه الناس أكثر مما هو ويعطونه مكانة أكبر، فكر فى الصعود إلى طيبة العليا حيث لا يعرفه أحد. وأخذ من إخوته بعض كسر من الخبز وجلس على ضفة النهر ينتظر مرور سفينة حتى يستقلها ويبحر معهم. وفيما هو يفكر فى هذا سمع صوتًا من فوق يقول له: إلى أين أنت ذاهب يا أنطونيوس؟ ولماذا؟ أجاب بلا اضطراب، إذ اعتاد أن يسمع هذا النداء وقال: بما أن الناس لا يسمحون لى أن أعيش فى الهدوء والسكينة فإننى أود الصعود إلى طيبة العليا. فالناس يزعجوننى ويعطلوننى ويطلبون منى أن أقوم بأعمال تفوق قوتى. فقال له الصوت: حتى لو انتقلت إلى طيبة أو نزلت إلى فوكوليا (فى الوجه البحرى المراعى الريفية)، كما ترغب، فإنك ستتحمل تعبًا مضاعفًا. أما إذا ما أردت

حقيقة أن تعيش فى سكينة، إذهب إلى الصحراء الداخلية" وعندما سأل انطونيوس: من سيرينى الطريق، ما دمت لا أعرفه؟ أشار الصوت إلى جماعة عربية ليرشدوه إلى سلوك تلك الطريق، وإذ توجه إليها ودنا منها راجيًا أن يصحبها إلى الصحراء، فقبلت وكأنهم قد لقوا الأمر من العناية الإلهية. فسار معها ثلاثة أيام وليال حتى وصل إلى جبل عال فيه مياه باردة وعذبة وفيه سهل يضم أشجاراً مهملة من النخل.

اقامته الدائمة فى الجبل :

٥٠ - أحب أنطونيوس المكان، لأنه كان المكان الذى قاده إليه الله. انه المكان الذى أشار إليه ذاك الذى كلّمه، إذ كان على ضفتى النهر. عاش بادئ الأمر وحده، دون أن يكون أحد بجانبه، بعد أن قبل بضع كسر خبز من الذين رافقوه. وأخذ يحسب المكان هذا بيتًا له. ولما رأى العرب غيرة أنطونيوس كانوا يمرون خصيصا من ذلك الطريق ليقدموا له الخبز بفرح. وكان يقتات كذلك ببعض ثمار النخل. بعد وقت عرف الاخوة المكان الذى يقطن فيه، فأخذوا يرسلون له طعامًا، كالأولاد الذين يعتنون بأباهم. وعندما أحس أن بعض الرهبان يتحملون المشقة بسبب الخبز، فأشفق عليهم وفكر فى نفسه أن يطلب من بعض الذين يزورونه جاروفًا وفأسًا وبعض القمح. ولما أحضروها طاف فى الأرض ألتى حول الجبل، فوجد مكانًا صغيراً ذا ماء غزير للرى فمهده واستصلحه. كان أنطونيوس يقوم بهذا العمل كل سنة لتحصيل خبزه. وكان فرحًا بهذا العمل، لأنه لم يزعج أحداً ولم يثقل

على أحد. ومن ثم زرع بعض الخضار، لأن البعض كانوا يزورونه، فتكون لهم راحة من عناء الطريق الشاق. أما وحوش البرية فكانت تأتى لتشرب، لكنها كثيراً ما أتلفت البذار والزرع، فأمسك بلطف ورقة وحشًا وقال للوحوش: لماذا تسببون لى الأذى وأنا لم أصنع معكم شراً ؟ ابتعدوا، وبإسم الرب لا تقتربوا من هذا المكان. ومنذ ذلك الحين لم تعد تقترب منه، وكأنها خافت من هذا الكلام.

هجمات الشياطين عليه بعنف :

صراعه ضد الشياطين :

٥١ - هكذا كان أنطونيوس وحده فى الجبل منهمكًا فى الصلوات والنسك. أما الإخوة الذين كانوا يخدمونه فرجوه أن يأتى مرة فى الشهر، لكى يحملوا إليه زيتًا وزيتونًا وبقولاً، إذ أصبح شيخًا. وطوال الوقت الذى عاش فيه هناك لم يصارع، كما كتب، لحمًا ودمًا، بل الشياطين الثائرة المقاومة (أفسس ٦:١٢) كما عرفنا من زائريه. انهم كانوا يسمعون ضجيجًا وأصواتًا عالية وضربات مثل جلبة السلاح. وكانوا يرون الجبل مليئًا بالوحوش البرية أثناء الليل، وكانوا يرونه مجاهداً وكأنه يحارب كائنات منظورة، ويصلى ضدها. وكان يشجع الذين يزورونه وهو يجاهد حانيًا ركبتيه ومصليًا للرب. ويقينًا أن هذا الأمر يستحق الاعجاب، لأنه فيما كان وحيداً فى صحراء كهذه، لم يخف من الشياطين التى تهاجمه ومن ضراوة ووحشية الوحوش الكثيرة ذوات الأربع والزحافات، بل كان يضع رجاءه على

الرب، حافظًا عقله بإيمان غير متزعزع وغير مضطرب كما كتب «توكل على الرب مثل جبل صهيون» (مزمور ١٢٥:١). فهربت الشياطين منه وسالمته الوحوش الضارية، كما يقول الكتاب (أنظر أيوب ٢٣:٥).

انتهاره للشياطين وهروبها منه :

٥٢ - إلا أن الشيطان ظل ينظر إليه بغاية شريرة - كما يرنم داود - صارفًا عليه بأسنانه (مزمور ١٦:٣٥). لكن أنطونيوس حصل على تعزية من الرب، فحُفظ مصانًا وسالمًا من حبائل العدو ومكائده المختلفة. وبينما كان ساهرا ذات يوم أرسل الشيطان الوحوش ضده، فخرجت فى تلك الصحراء جميع النمور تقريبًا من جحورها لتحيط به. وكان هو فى وسط زئيرها، ففتح كل ضبع فمه مهدداً بنهشه والهجوم عليه. أما أنطونيوس فأدرك حيلة العدو وقال للضباع: إذا كنت تملكين، أيتها الضباع سلطان أو قوة، علىَّ فها أنا مستعد لأن أكون طعامًا لك. وإذا كانت الأبالسة هى التى أرسلتك إلىَّ فلا تتوانى فى الانصراف، لأننى أنا عبد يسوع المسيح. ولما قال هذا الكلام ابتعدت وهربت وكأنها طردت وضربت بسوط كلامه.

ظهور وحش مخيف له :

٥٣ - بعد أيام وفيما هو يعمل (لأنه كان يحرص على العمل الجاد) وقف شخص فى الباب وشدّ طرف الخوص، إذ أنه كان يصنع

سلالاً ويعطيها لزائريه بدل ما يحملون له. فنهض ورأى وحشًا يشبه الإنسان حتى فخذيه، والحمار فى ساقيه ورجليه. أما أنطونيوس فرسم إشارة الصليب وقال: أنا عبد المسيح فإن أُرسلت ضدى فأنا موجود أمامك. هكذا هرب الوحش مع شياطينه بسرعة قصوى حتى أنه بسبب سرعته سقط ومات. وكان موت الوحش دليلا على هزيمة الشياطين، لأنها سعت وبذلت كل جهد وبكل الوسائل كى تبعده عن الصحراء، فلم تقدر.

زيارة أنطونيوس لتلاميذه بالبرية الخارجية :

٥٤ - عندما رغب الرهبان فى أن ينزل لزيارتهم وزيارة أماكنهم لوقت قصير، رافق الذين التقى بهم، فحمّلوا الجمل خبزاً وماء، لأن الصحراء كلها كانت جافة، لا ماء فيها يصلح للشرب سوى فى ذلك الجبل، الذى كانوا يستقون منه والذى كان فيه الدير. وفى الطريق فرغ الماء، وكان الحر شديداً حتى أمسوا فى خطر شديد. فجالوا فى المكان فلم يجدوا ماء. ولم يقدروا على السير، بل سقطوا على الأرض وتركوا الجمل، فاستولى عليهم اليأس وأحس الشيخ أن الخطر أحدق بهم، فتنهد بحزن عميق وابتعد عن المكان ورفع يديه وجثى على ركبتيه وصلى. فللوقت أخرج الرب ماء حيث وقف أنطونيوس للصلاة. فشربوا جميعهم واستراحوا. ولما ملأوا الجرار ماء بحثوا عن الجمل فوجدوه، إذ أن الحبل التف حول حجر لربط الجمل. فأتوا به وسقوه ماء وحملوا الجرار عليه وساروا بسلام. وعندما وصلوا إلى

الأديار الخارجية كان الجميع ينظرون إليه كأب مقبّلين إياه، وكأنه أتاهم بالزاد من الجبل. فحيّاهم وشجعهم بكلامه وقدّم إليهم المنفعة والمساعدة. فحصل فى الجبل فرح وغيرة نحو التقدم الروحى والتعزية بالإيمان المتبادل. وهو فرح كل الفرح عندما رأى حماس الرهبان ولاسيما عندما وجد أن أخته قد شاخت فى البتولية وهى أيضًا كانت ترشد متبتلات أخريات.

عودته إلى الجبل وعجائب الشفاء :

٥٥ - بعد أيام عاد ثانية إلى الجبل، فابتدأ العديد من الناس بالقدوم إليه، وتجاسر مرضى آخرون على الدخول إليه حتى يشفيهم. فكان دائمًا يحث النسّاك الذين يزورونه على الإيمان بالله وعلى محبتهم له، وحفظ أنفسهم من الأفكار الشريرة واللذات الجسدية، كما كُتب فى سفر الأمثال: «لا تنخدعوا بشبع البطن» (أمثال ٢٤:١٥)، وعلى تجنب المجد الباطل، والترتيل قبل النوم وعند الاستيقاظ، والصلاة المستمرة، وحفظ وصايا الكتاب المقدس عن ظهر قلب، وتذكر أعمال القديسين وتقليد غيرتهم، كيما تفكر نفوسهم فى الوصايا. ثم نصحهم بالتأمل الدائم فى قول الرسول: «لا تغرب الشمس على غضبكم» (أفسس ٤:٢٦). وكان يعتقد أن هذه الوصية تنطبق على كل وصية أخرى، فليس المقصود الغضب فقط بل يجب أن لا تغيب الشمس على أية خطيئة فعلناها. لأنه لحسن، بل لضرورى أن لا تديننا الشمس بفكر شرير وأن لا يديننا القمر بخطية ليلية أو بفكر

شرير. ولكى ننزع هذه الأفكار يحسن أن نتذكر قول الرسول: «امتحنوا وحاسبوا أنفسكم» (٢كور ١٣:٥) إذاً يجب أن يطالب المرء نفسه فى كل يوم باحثًا عن سبب لأعماله النهارية والليلية. فإذا لم يخطئ لا يفتخر، وإذا أخطأ فليكف عن فعل الخطايا، متممًا فعل الخير بلا تكاسل، ودون أن يدين قريبه أو أن يبرر نفسه، كما قال الرسول المطوب، «حتى يأتى الرب الذى يفحص خفايا القلوب» (أنظر ١كور ٤:٥، ورومية ٢:١٦)، ففى أعمالنا كثيراً ما ننسى أنفسنا بغير قصد. إننا نجهل أنفسنا، لكن الرب يدرك كل شىء. بما أننا ننسب الدينونة إلى الرب فلن نُدن أحد بل فليشارك الواحد منّا أحزان الآخر حاملاً أثقاله (غل ٦:٢) ولنعطف بعضنا على بعض، ولنمتحن أنفسنا، ولنهتم بأن نكمل نقائصنا. أخيراً إليكم الملاحظة التالية من أجل أمانكم الروحى، وهى أن يكتب كل واحد منكم أعماله ورغبات نفسه وكأنه سيعلنها للاخرين. تأكدوا بأننا سنخجل من أن تكون أعمالنا مشاعة. وبسبب هذا الخجل سنكف عن فعل الخطيئة، وعن تذكر أمر شرير. لأنه من هو ذلك الخاطئ الذى يريد أن يراه الناس أثناء ارتكابه الخطيئة؟ أو من هو ذلك الذى يفعل الخطيئة ولا يكذب حتى يبقى مجهولاً ولا يعرفه الآخرين؟ فكما أننا لا نرتكب الخطية عندما نراقب من بعضنا البعض، هكذا فلندون أفكارنا الشريرة وكأننا نعلنها للاخرين. اننا لن نفكر فى الشرور على الاطلاق خجلاً من أن تصبح مدونة. هكذا فليكن تدوين الخطايا بدل أعين زملائنا النسّاك،

حتى لا نفكر فى الشرور، لأننا نخجل من كتابتها ومن أن يراها الآخرون. إذا ما روضنا أنفسنا على هذا الأسلوب فنقدر أن نخضع الجسد للرب وأن ندوس حيل العدو الشرير.

من عجائب القديس أنطونيوس :

عطفه على المتألمين :

٥٦ - هذا ما حث أنطونيوس زائريه عليه، مشاركًا إياهم فى آلامهم ومصليا معهم. وكان الرب يستجيب لهم من أجله. لكنه لم يفتخر إذا استجاب الرب لطلبته، ولم يتذمر إذا لم يستجب له، بل كان يشكر الرب دائما ويحث المتألمين على الصبر وعلى الإدراك بأن شفاءهم لا يعتمد عليه، ولا يتوقف على أى انسان بل على الرب الذى يشفى من يريد وعندما يريد. فكان المتألمون يقبلون كلمات الشيخ كشفاء لهم، وتعلموا ألا يفقدوا صبرهم وأن تطول أناتهم. أما الذين نالوا الشفاء تعلموا ألا يشكروا أنطونيوس، بل الرب وحده.

يشفى ضابطًا فى البلاط الملكى :

٥٧ - كان هناك رجل يدعى فرنتون ضابطًا فى البلاط الملكى من عائلة ملكية أصيب بمرض شديد. فكان يبلع لسانه ويكاد أن يؤذى عينيه. صعد هذا الرجل إلى الجبل وترجّى انطونيوس أن يصلى من أجله، فصلى له وقال: انصرف فتشفى. لكن بما أنه أصر على البقاء هناك بضعة أيام قال له أنطونيوس: انك لن تشفى إذا بقيت هنا.

فاذهب وعندما تصل مصر سترى الآية التى ستحصل لك. فأمن ذلك الرجل وانصرف، ولما رأى مصر توقف للحين مرضه وعاد صحيحا، كما قال له أنطونيوس الذى عرف هذا من المخلص عندما صلى من أجله.

يشفى فتاه :

٥٨ - وكانت عذراء من فوسيرس التى فى طرابلس قد مرضت مرضا شديدا وقبيحًا. فكانت دموعها ومخاطها وسائل أذنيها تسقط على الأرض، فتتحول فوراً إلى دود. وجسدها كان مشلولا وعيناها غير طبيعيتين. وعندما سمع أهلها أن بعض الرهبان سيتوجهون لزيارة أنطونيوس طلبوا منهم أن يرافقوهم مع ابنتهم، لأنهم آمنوا بالرب الذى شفى نازفة الدم (مت ٩: ٢٠). ولما سمحوا لهم، مكث الوالدان مع ابنتهما خارج الجبل قرب بفنوتيوس الراهب والمعترف. أما الرهبان فدخلوا منسكه، ولما أرادوا أن يخبروه عن العذراء استعجلهم وقص عليهم خبر مرضها وكيف أنها سافرت معهم. ولما طلبوا منه أن يأذن لأولئك بالدخول لم يسمح لهم وقال: اذهبوا فتجدوا العذراء معافاة إذا لم تكن قد ماتت. فما هذا العمل عملى، كى تأتى إلى إنسان يستحق الشفقة. فالشفاء عمل المخلص الذى يفعل رحمة ورأفة فى كل مكان لمن يطلب منه. فالرب استجاب لها عندما صلت، لكنه أعلن لى بمحبته للبشر أن ألم الفتاة سيشفى. عندئذ تملكهم العجب حقا، لأنهم عندما خرجوا من هناك وجدوا الأهل فرحين والفتاة معافاة.

يرى الأحداث عن بعد :

٥٩ - فيما كان اثنان من الاخوة ذاهبين إلى الدير، نفد ماؤهما فى الطريق. فمات أحدهما وصار الثانى على وشك الموت، فاستلقى على الأرض ينتظر موته، لأنه لم يعد قادراً على إتمام سيره. فى ذلك الوقت دعا أنطونيوس وهو فى الجبل راهبين وقال لهما: «خذا جرة ماء واحملاها بسرعة إلى الطريق المؤدى إلى مصر، لأن أحد القادمين إلى هنا ينتظر الموت إذا لم تسرعوا، والثانى مات فعلا. هذا ما أعلنه الله لى وأنا أصلى». ولما وصل الراهبان إلى هناك سقيا الذى كان على قيد الحياة ماء وحملاه إلى الشيخ، ودفنا الذى مات. أما المسافة فكانت على بعد يوم واحد. لكن إذا سأل أحد: لماذا لم يتكلم أنطونيوس قبل موت الآخر؟ فهو تساؤل غير صحيح، لأن حكم الموت لم يكن فى يده، بل فى يد الله الذى حكم على الأول بالموت وأعلن عن حالة الثانى. أما معجزة أنطونيوس فهى أنه وهو مقيم فى الجبل كان يقظ القلب، وكان الله يعلن له ما يحدث بعيداً عنه.

يرى روح القديس آمون وقت موته :

٦٠ - فيما كان جالسًا على الجبل مرة ثانية رفع عينيه إلى السماء فرأى شخصًا فى الفضاء مرتفعًا إلى فوق، ورأى الذين كانوا يصادفونه فرحين جداً. وفيما كان أنطونيوس يتعجب ويطوب هؤلاء المباركين صلى كى يعرف من هو. فأتاه صوت يقول «هذه هى نفس آمون راهب نيتريا (وادى النطرون)، الذى بقى حتى الشيخوخة ناسكًا.

والمسافة بين نيتريا وبين الجبل الذى كان يقيم فيه أنطونيوس تبلغ ثلاثة عشر يومًا سفر. وعندما رأى الاخوة فى الجبل الشيخ أنطونيوس متعجبًا فطلبوا منه معرفة الأمر، فسمعوا أن آمون مات منذ برهة. وآمون هذا كان معروفًا وذائع الصيت عند الاخوة، لأنه كان يزورهم كثيراً. وجرت على يده آيات كثيرة، وإحدى هذه الآيات هى أنه احتاج مرة أن يعبر نهر ليكوس (وكان وقتها يفيض بقوة)، فطلب من مرافقه ثيوذورس أن يبتعد، لكى لا يرى الواحد الآخر عاريًا عندما ينزل فى الماء عائمًا. وعندما ابتعد ثيوذورس خجل آمون ان يرى نفسه عاريًا. وفيما هو يفكر فى الأمر وهو ملىء بالخجل نقل إلى الضفة الثانية. ولما عاد ثيوذورس الذى كان تقياً ورأى أن آمون عبر النهر بسرعة دون أن يبتل بنقطة ماء طلب منه معرفة كيفية عبوره. ولما رأى انه لا يرد إبلاغه أمسك بقدميه وأصر على عدم تركه ما لم يعلن له السر. وحينما رأى هذا الإلحاح والتصميم طلب منه ألا يبلغ أحدا حتى مماته، وأبلغه أنه حُمل ونُقل إلى الضفة الثانية دون أن يمشى على المياه. وإن كان هذا الأمر يستحيل على البشر، لكنه لا يستحيل على الرب وعلى الذين سمح لهم بهذا كما فعل مع الرسول بطرس العظيم (أنظر متى ١٤:٢٨-٢٩). هذا ما أخبر به ثيوذورس بعد موت آمون. أما الرهبان الذين تحدث اليهم أنطونيوس عن موت آمون فقد سجلوا يوم الوفاة وبعد مرور ثلاثين يوما أتى بعض الاخوة من نيتريا، فسألهم الرهبان عن اليوم والساعة التى رقد فيها آمون. فكان اليوم ذاته الذى اخبرهم فيه أنطونيوس. فتعجبوا من طهارة نفس أنطونيوس الذى أخبر عن

الحدث على بعد ثلاثة عشر يوما، ورأى نفسه ترتفع إلى السماء.

شفاء فتاه وهى فى لاودكية :

٦١ - وحينما التقى أرخلاوس الكونت بأنطونيوس فى الجبل الخارجى طلب منه أن يصلى من أجل بوليكترا العذراء العظيمة الحاملة المسيح والتى تعيش فى اللاودكية، لأنها كانت تتألم كثيراً من معدتها وجنبها بسبب النسك الشديد، حتى أنها أصبحت عليلة الجسد كله. فصلّى أنطونيوس من أجلها، أما الكونت فسجل يوم الصلاة. ولما عاد الكونت إلى لاودكية وجد البتول معافاة. فسألها متى توقف مرضها فقالت له. حينذاك أخرج الورقة التى كتب عليها اليوم الذى رفع أنطونيوس الصلاة من أجلها وأراها للجميع فتعجبوا، وأيقنوا ان الرب شفاها من آلامها فى الوقت الذى صلى فيه أنطونيوس وتوسّل إلى صلاح المخلص من أجلها.

يتنبأ عن سبب مجيء البعض قبل وصولهم :

٦٢ - كان أنطونيوس كثيراً ما ينبئ عن قدوم الزائرين قبل أيام وأحيانًا قبل شهر وعن سبب مجيئهم. فالبعض كانوا يأتون ليروه فقط، والبعض الآخر لمرض أو لأنهم يتألمون من الشياطين. لكن الجميع لم يحسبوا مسافة الطريق إرهاقا لهم وخسارة، لأن كل من رجع شعر أنه نال فائدة. ولكن رغم قولهم هذه الأشياء ورؤيتهم لها. كان أنطونيوس يرجوهم ألا يعجبوا به، بل بالرب الذى يعطى قوة المعرفة وفقًا لمقدرتنا نحن البشر.

يميز سبب رائحة كريهة فى السفينة :

٦٣ - لما نزل أنطونيوس إلى الأديار الخارجية مرة ثانية طلب منه الرهبان الصعود إلى السفينة للصلاة معهم، فاشتم رائحة نتنة جداً. لكن ركاب السفينة أكدوا له أن الرائحة تنبعث من السمك المملح، أما هو فقال ان الرائحة مختلفة عن هذا. وفيما هو يتكلم بهذا صرخ شاب به أرواح نجسة كان قد دخل السفينة واختبأ فيها. ولما وبخ أنطونيوس الشيطان بإسم ربنا يسوع المسيح، خرج منه وعاد الرجل صحيحًا. عند ذلك أدرك الجميع أن هذه الرائحة الكريهة من الشيطان.

يشفى شخصًا به شيطان :

٦٤ - كان هناك رجل من مشاهير الرجال قد دخل به شيطان مرعب جداً، حتى ان الرجل لم يكن يعرف انه ذاهب إلى أنطونيوس. وكان يأكل حتى اخراج جسده. عندما أتى به الذين أحضروه إلى أنطونيوس طلبوا منه أن يصلى من أجله، فسهر أنطونيوس معه طوال الليل، لأنه أشفق عليه وصلى له. لكن الشاب هجم فجأة فى الصباح على أنطونيوس ودفعه داسراً إياه، فاغتاظ مرافقو الشاب. فقال لهم أنطونيوس: لا تغضبوا من الشاب لأنه لا يدسرنىّ هو، بل الشيطان الذى فيه، لأننى عنفته وأمرته بأن يخرج إلى مكان مقفر، ففعل هذا بعد أن تهيج هياجًا جنونيًا. فمجدوا الرب لأن الشيطان دسره نحوى.

وهذا دليل على أنه خرج منه. فحين قال أنطونيوس هذا عاد الشاب صحيحًا واستعاد رشده وعرف المكان الذى هو فيه. وقبل الشيخ وأخذ بركته وشكر الرب على شفائه له.

خلقه وتصرفاته + اختطافه بالروح وعودته :

٦٥ - وعجائب كثيرة صنعها أنطونيوس أوردها الرهبان باتفاق فى الرأى والشكل، لكنها لا تدعو للعجب بقدر الأمور الأخرى الكثيرة. ففى مرة أراد أن يأكل، فنهض للصلاة فى الساعة التاسعة (الثالثة بعد الظهر)، فشعر بأنه يخطف بالروح. والغريب فى الأمر أنه كان ينظر إلى نفسه وكأنه واقف خارج الجسد، وكان يحس بأن هناك من يقوده فى الفضاء. لكن جماعة من الأشرار وقفت فى الفضاء وأرادت أن تعترض طريقه. غير أن الذين كانوا يرشدوه ويسيرونه فى الفضاء حاربوهم وقاوموهم، فطلب الأشرار أن يعرفوا ما إذا كان مسؤولا أمامهم ومدينًا لهم بشىء أم لا. ولما أرادوا محاسبته على أعماله من يوم ولادته لم يسمحوا لهم مرشدوه قائلين: كل شر فعله من يوم ولادته محاه الرب. فليسمح لكم بالتحدث عما فعله من اليوم الذى صار فيه راهبا ناسكًا وأعطى وعداً للرب وكرس نفسه له. وبما أنهم وجهوا الاتهام دون إثبات، صارت طريقه خالية من العوائق.

عاد إلى نفسه ورأى أنه واقف أمام ذاته وأنه هو أنطونيوس. فنسى الأكل كليًا، وبقى ليل نهار يئن ويصلى. لأنه اندهش عندما عرف كم من الاعداء الأشداء يجب أن نحارب ونصارع، وبأية أتعاب وجهود شاقة سيعبر المرء الفضاء. هذا ما عناه بولس فى قوله «حسب رئيس سلطان الفضاء» (أفسس ٢:٢). فهذا السلطان يملكه الشيطان محاولا أن يعيق الذين يعبرون الفضاء ويجوزون فيه. لذلك كان يسدى النصيحة بكل قوة ويقول: «احملوا سلاح الله الكامل لتقدروا أن تقاوموا فى يوم الشر» (أفسس ١٣:٦)، وحتى لا يستطيع العدو «أن يقول فينا سوءاً» (تيطس ٨:٢) فيخزى. ونحن الذين تعلمنا هذا الأمر لنتذكر الرسول الذى يقول: «أبالجسد لا أعلم أم بغير الجسد؟ لا أعلم، الله يعلم» (٢كورنثوس ٢:١٢). على أن بولس قد اختطف إلى السَماء الثالثة وسمع كلمات لا يُنطق بها ثم نزل، أما أنطونيوس فشاهد وصوله إلى الفضاء، وجاهد حتى ظهرت له الطريق حرة.

انتصاره على مارد :

٦٦ - كانت عنده هذه النعمة أيضًا، فبالرغم من كونه وحيداً فى الجبل، فإن العناية الإلهية كانت تعلن له فى الصلاة الأمور التى يتساءل عنها ويطلب معرفتها. فأصبح الإنسان المطوّب الذى يعلمه

الله كما هو مكتوب (أنظر أش ٥٤:١٣، يوحنا ٦:٤٥). عندما كان يتحدث مع بعض زائريه عن حالة النفس والمكان الذى ستكون فيه بعد هذه الحياة، فقد دعاه صوت من العلى فى الليلة التالية وقال له: قم يا أنطونيوس واخرج لتنظر، فخرج (لأنه كان يعرف لمن يقدم الطاعة) وحينما رفع عينيه إلى فوق شاهد شخصا طويل القامة مرعبًا وشائنًا، يكاد أن يصل رأسه إلى السحاب. وشاهد كائنات تصعد عليه كأن لهم أجنحة، فى حين أنه كان باسطًا يديه. وكان يمنع البعض من الصعود، والبعض الآخر كان يتجاوزه صاعداً إلى السموات من دون انزعاج. وكان ذلك الطويل القامة يصر بأسنانه على الذين سقطوا فى يديه فرحًا. فصار صوت إلى أنطونيوس يقول: أتفهم ما تنظر؟ فاستنار للحين فكره وأدرك أن هذا عبور أرواح شريرة، وان ذلك الطويل القامة هو العدو الذى يحسد المؤمنين، وأن أتباعه هم الذين منعهم من الصعود. لكنه لم يقدر أن يلقى القبض على الذين تجاوزوه، لأنهم لم يثقوا به ولم يخضعوا له. ولما شاهد هذه الرؤية حسبها مذكراً له ليجاهد أكثر فأكثر من أجل التقدم الروحى. ان أنطونيوس لم يكن يريد أن يخبر بهذه الأمور، لكنه كان يتعجب أثناء لجوئه الطويل إلى الصلاة، فيسأله الاخوة ويضيقون عليه، فيُضطر إلى الكلام معهم،

كالأب الذى لا يستطيع أن يخفى شيئا عن أولاده. لكنه كان يدرك ان ضميره نقى وأن هذا السرد مفيد لهم وينفعهم. فيتعلمون ان هذا هو الثمر الصالح للنسك، وان الرؤى عزاء لهم فى تعب النسك والجهاد الروحى.

وداعته وتواضع روحه :

٦٧ - كان أنطونيوس وديعا ذا خلق حميد ونفس متواضعة، ورغم عظمته كان يحترم قوانين الكنيسة جداً ويكرم الاكليروس، فلم يكن يخجل من إحناء رأسه للأساقفة والكهنة. وحتى عندما كان يزوره شماس للمنفعة الروحية، كان يتباحث معه فيما ينفع ويعطيه فرصة الصلاة. ولم يكن يخجل من أن يتعلم منه. كان يطرح باستمرار الأسئلة ويرجو ان يسمع آراء الاخوة، وكان يعترف بالفائدة التى يحصل عليها عندما كان يقول شيئًا نافعًا. وكان وجهه ذا نعمة عظيمة وعجيبة. وكان يتحلى بهذه النعمة التى أعطاها إياه المخلص. فإذا ما اتفق ان وجد وسط جمهرة من الرهبان، وأراد أحدهم التعرف إليه فكان الراهب يدنو على الفور منه، ويوجه كلامه إليه وكأن منظره قد جذبه إليه. مع أنه لم يكن مختلفا عن باقى الرهبان فى طول قامته وعرضها، بل فى خُلقه وطهارة نفسه، إذ كان ذا نفس هادئة وحواس

غير مضطربة وطلعة بهية ووجه وضاء بسبب فرح نفسه، حتى ان كل حركات جسده كانت تعكس حالته النفسية وفقًا لما كُتب: «القلب الفرح يجعل الوجه طلقًا وبحزنه يجعله عابسًا» (أمثال ١٥: ١٣). هكذا عرف يعقوب أن لابان يفكر فى الشر فقال لنسائه: «ان وجه أبينا ليس هو كما كان أمس وأول أمس» (تكوين ٣١: ٥). هكذا عرف صموئيل داود، لأنه كان فرح العينين وأبيض الأسنان كالحليب (صموئيل الأول ١٦: ١٢). هكذا عُرف أنطونيوس كشخص هادئ النفس دائمًا لا يعرف الاضطراب. فلم يكن عابسًا أبداً، بل فرح الذهن وقلبه ملآن بالسلام.

دحض الآريوسيين ومحارباته للبدع والهرطقات:

٦٨ - كان فى الأمور الإيمانية ذا ورع يستحق التعجب، إذ لم يشارك الميليتيانيين[١] المنشقين، لأنه عرف منذ البدء خبثهم وارتدادهم. ولم يحدث المانويين[٢] والهراطقة الآخرين، إلا إذا أراد أن يقدم لهم النصح ليعودوا إلى الإيمان والتقوى لأنه كان يعتقد ويعلم أن

(١) اتباع مليتيوس أسقف ليكوبولس فى مصر، الذى رسم أشخاصًا من خارج أبرشيته فسبب شقاقًا طويلاً.

(٢) اتباع مانى الذى تبنى إيمان الفرس بالثنائية، أى بإلهى «الخير والشر» و«الظلام والنور».

مصادقتهم والتحدث إليهم دمار للنفس. هكذا ازدرى بهرطقة الآريوسيين وأوصى الجميع ألا يقتربوا منهم، وألا يؤمنوا بعقيدتهم المنحرفة ومرة عندما أتى بعض الآريوسيين لزيارته، امتحنهم فأدرك كفرهم وفساد معتقدهم. لذلك طردهم من الجبل وقال لهم أن كلامهم أخطر من سم الأفاعى.

٦٩ - ولما زعم الآريوسيون زعمًا كاذبًا أن انطونيوس يتفق مع آراؤهم ويؤمن إيمانًا كاذبًا استاء منهم وغضب عليهم. ثم نزل من الجبل باستدعاء من الأساقفة وجميع الاخوة. وحينما دخل الاسكندرية شجب الآريوسيين وقال ان هذه الهرطقة آخر الهرطقات وسابقة للمسيح الدجال. وكان يعلم الشعب ان ابن الله ليس مخلوقًا، ولم يخلق من العدم، بل هو الكلمة الأزلية لجوهر الله وحكمته. ومن الكفر القول إنه كان وقت لم يكن فيه الابن موجوداً، لأن الابن موجود مع الاب منذ الأزل. لذلك لا تشاركوا الآريوسيين الملحدين الكفرة، «أى علاقة للنور بالظلام؟» (٢كورنثوس ٦: ١٤). فأنتم مسيحيون صالحون أتقياء، أما هم فلا يختلفون عن الوثنيين بشىء، ما داموا يحسبون ابن الله الآب وكلمته مخلوقًا. انهم يعبدون المخلوق من دون الخالق (أنظر رومية ١: ٢٥). بل ثقوا بأن هذه الخليقة نفسها غاضبة عليهم،

لأنهم وضعوا الخالق رب الجميع بين المخلوقات وهو الذى خلق كل شىء.

ذهابه إلى الاسكندرية للمرة الثانية :

٧٠ - فرح جمهور الشعب عندما سمع أن رجلا كهذا أبطل تلك الهرطقة التى تحارب المسيح. وأخذ سكان المدينة يتراكضون لرؤيته، بل أن اليونانيين أتوا مع الذين يدعون كهنتهم وقالوا: نرجو رؤية رجل الله (هكذا كان يدعوه الجميع). فهناك أخرج الرب على يديه شياطين كثيرة وشفى مجانين كثيرين. وطلب عدد كبير من اليونانيين بإلحاح مجرد لمس الشيخ، لأنهم آمنوا بأنهم سيحصلون على بركة منه. ومما لا شك فيه أنه اعتنق المسيحية فى تلك الأيام القليلة عدد يساوى العدد الذى يعتنقها خلال سنة واحدة. لكن البعض اعتقد بأن أنطونيوس ينزعج من الجمع، لذلك حاول إبعادهم عنه. أما ذاك فقال من غير انزعاج أو اضطراب : ان الجموع ليست أكثر عددا من الشياطين التى نتصارع معها فى الجبل.

٧١ - ولما ترك المدينة واكبناه فى خروجه، وحينما وصل باب المدينة نادته من الخلف إمرأة وقالت: انتظر يا رجل الله، فإن ابنتى تتعذب جداً من الشيطان. أرجو منك البقاء فلعل شيئا يصيبنى وأنا أركض.

حينما سمع الشيخ هذا الكلام رجونا نحن منه فبقى بكل ارتياح. ولما اقتربت المرأة سقطت الابنة على الأرض، فصلى أنطونيوس ودعا اسم المسيح، فعادت الابنة صحيحة وخرج منها الروح النجس. فمجدت الأم الله وشكره الجميع. أما هو ففرح بعودته إلى الجبل وكأنه رجع إلى بيته ووطنه.

مجادلات الفلاسفة معه :

٧٢ - كان أنطونيوس رجلاً حكيمًا ذكيًا جداً، وما يثير الاعجاب انه كان ذكيا وحكيما، على الرغم من أنه لم يتعلم القراءة والكتابة. أتى إليه مرة فيلسوفان يونانيان ليجرباه وكان هو آنذاك فى الجبل الخارجى. فعرفهما من وجهيهما ودنا منهما وقال لهما بواسطة مترجم: لماذا أجهدتما نفسيكما أيها الفيلسوفان للقاء رجل جاهل مثلى. ولما قالا له أنه ليس جاهل، بل متعلما جداً أجابهما: إذا قصدتما رجلاً جاهل فباطلاً تعبتما. لكن إذا كنتما تحسبانى حكيمًا فكونا مثلى، لأن المرء يجب أن يقتدى بما هو صالح. فلو ذهبت أنا إليكما لاقتديت بكما، لكن بما انكما أتيتما إلىّ فكونا مثلى، لأنى مسيحى. فتعجب الرجلان منه وتركا المكان ولاسيما لأنهما شاهدا أن الشياطين تخافه أيضًا.

٧٣ - عندما التقى به بعض الفلاسفة فى الجبل الخارجى ظنوا أنهم يستطيعون أن يسخروا منه، لأنه لم يتعلم فقال لهم: هل العقل سبب العلم، أم العلم سبب العقل؟ عندما أجابوه أن العقل هو الأول وهو مستنبط العلم قال أنطونيوس: إذن ذو العقل الراجح الصحيح لا يحتاج إلى العلم. فاندهش الفلاسفة وجميع الحاضرين من هذا الكلام، وذهبوا متعجبين، لأنهم رأوا حكمة كبيرة فى رجل مثله. لم يكن أنطونيوس ذا خلق فظ بسبب عيشه فى الجبل حتى الشيخوخة، بل كان رقيقًا ومهذبًا فرحًا واجتماعيًا، وكانت كلماته مُصلحة بالملح الإلهى (أنظر كولوسى ٤:٦) حتى أنه لم يكن من يحسده النعمة التى يملكها، بل كان جميع القادمين إليه يسرون به.

٧٤ - بعد ذلك أتى لزيارته بعض الفلاسفة الآخرين الذين يحسبهم اليونانيون حكماء وطلبوا منه كلمة فى الإيمان بالمسيح. ولما حاولا استعمال القياس المنطقى على إشارة الصليب الإلهى، وذلك بهدف السخرية، بقى صامتًا لفترة وجيزة، لأنه أشفق فى البدء على جهلهم. ثم قال بواسطة مترجم نقل كلامه بدقة: أيهما أفضل، الاعتراف بالصليب، أم نسب دعارة وفسق بالغلمان إلى تلك التى تسمى آلهتكم؟ لأن ما نؤمن به دليل شجاعة وازدراء بالموت، أما ما تؤمنون

به فهو أهواء دنيئة وشهوات الخلاعة. فأيهما أفضل أن نقول إن كلمة الرب بقى من غير تغير، بعد أن اتخذ جسداً بشريًا لكى يجعل البشر مشاركى الطبيعة الإلهية والروحية، أو تشبيه الإله بالحيوانات عديمة الحس وبالكائنات التى لا عقل لها، فنكون بذلك قد قدمنا العبادة إلى ذوات الأربع والزحافات وأصنام البشر؟ فأنتم أيها الحكماء تحترمون هذه الأمور، فكيف تجرؤون على السخرية منّا نحن الذين نقول إن المسيح ظهر كإنسان، فى الوقت الذى تفصلون فيه النفس عن السماء، وتزعمون أنها ضلّت وسقطت من قوس السماء على جسم الإنسان. ويا ليتكم تؤمنون بأنها تنتقل وتنحدر إلى الجسم الإنسانى من دون انحدارها إلى الزحافات والبهائم ذوات الأربع. لأن إيماننا يعلّم بأن المسيح أتى كإنسان لخلاص البشر، أما أنتم فتضلون عندما تتكلمون على نفس غير مخلوقة. وفى حين أننا ندرك قوة العناية الالهية ومحبتها للبشر، وندرك أن هذا غير مستحيل عند الله، فأنتم تزعمون أن النفس صورة العقل وتنسبونها إلى الجثث وتهذرون بقولكم انها متحركة. لذلك تظهرون العقل متحركًا بسبب تحرك النفس. فعندما تؤمنون بهذه الأمور التى تخص العقل تذكروا بأنكم تجدفون على العقل نفسه.

٧٥ - أما عن الصليب، فماذا تقولون عن الصليب، ما الأفضل تحمل الصليب ضد مؤامرات الأشرار وعدم الخوف من الموت المقبل، أم سرد خرافات عن ضلالات أوزوريس وايزيس وعن مؤامرات تيفونوس وهرب كيرونس وأكل الأولاد وقتل الآباء، لأن هذه هى حكمتكم. انكم تسخرون بالصليب فلماذا لا تتعجبون من القيامة؟ فالذين تحدثوا عن الصليب كتبوا عن القيامة. لماذا تذكرون الصليب وتسكتون عن الأموات الذين قاموا من بين الأموات وعن العميان الذين أبصروا والمفلوجين الذين شفوا والبرص الذين تطهروا والسير على مياه البحر، وكل العجائب والآيات الأخرى التى تشير إلى المسيح إلها وليس إنسانا. كم تظهرون لى أنكم ظلمتم أنفسكم، لأنكم لم تبحثوا فى الكتاب المقدس بتركيز. ادرسوا الكتاب وانتبهوا إلى أن ما فعله السيد المسيح يظهره إلها أتى إلى الأرض لخلاص البشر.

٧٦ - انكم أوردتم لنا اعتقاداتكم الدينية. فماذا تقدرون أن تقولوا عن البهائم سوى أنها وحشية ولا تعقل. لكن إذا أردتم أن تقولوا مثلما اسمع بأن هذه الأمور هى كخرافات تحمل معنى مجازيا، أى خطف صبية برسيونى يرمز إلى الأرض وعرج ايفستوس يرمز إلى النار والايرا يرمز إلى الفضاء وآبولون إلى الشمس وارتميس إلى القمر

وبوسيذنا إلى البحر. انكم بهذه الأمور لا تعبدون الله نفسه، بل المخلوق من دون الخالق. وإذا ما قلتم انكم ألفتم هذه الأساطير، لأن الخليقة جميلة، فمن الواجب أن تقفوا عند حد الاعجاب بالمخلوقات وان لا تؤلهوها، وأن لا تعطوا الاكرام اللائق بالخالق إلى المخلوق. وإلا لكان من الواجب أن نعطى الإكرام بالمهندس إلى البيت الذى بناه، والإكرام اللائق بالقائد إلى الجندى. فماذا تقولون عن هذه الأمور، لكى نعرف إذا كان فى الصليب ما يستحق السخرية؟

٧٧ - فصاروا فى حيرة وأخذوا يلتفتون إلى هنا وهناك. لكن أنطونيوس ابتسم وقال ثانية بواسطة مترجم: هذه الأمور تبدو لى كاذبة من النظرة الأولى. لكن طالما انكم تعطون وزنا للكلام البرهانى، وتتقنون هذا الفن، وتريدوننا أن نعبد الله ببرهان منطقى فقولوا لنا كيف نتحقق من كل الأمور بصفة عامة ومعرفة الله بصفة خاصة؟ وما هو الأسبق البرهان المنطقى أم الإيمان الحى؟ عندما أجابوا بأن الايمان الحى هو الأسبق، وأنه هو المعرفة الحقيقية والدقيقة قال لهم: حسنًا قلتم، لأن الإيمان يستند إلى ميل النفس، أما الجدلية فتؤلف فنًا من فنون الكلام وذكاء المتكلم. إذن، لا تكون البراهين المنطقية مهمة عند الذين يملكون الإيمان الحى، بل تكون زائدة على الحاجة. فما ندركه

نحن بالايمان تحاولون أنتم فهمه بالكلام. لذلك لا تقدرون فى كثير من الأحيان أن تعبّروا عما نستطيع إدراكه. إذن، الايمان الحى أفضل وأضمن وأقوى من مقاييسكم السفسطائية.

٧٨ - اننا لا نملك سر الحياة المسيحية فى حكمة كلام اليونانيين (أنظر ١كور ١:١٧)، بل فى قوة الايمان التى منحنا إياها الله بيسوع المسيح. والدلالة على صحة كلامنا أننا نؤمن بالله ونميز بواسطة مخلوقاته عنايته فى كل الأمور مع أننا لم نتلق العلم. والدلالة على فاعلية أيماننا اننا نستند إلى الايمان بالمسيح، بينما تعتمدون أنتم على فلسفتكم الكلامية. ان صور أوثانكم تضمحل وتتلاشى، أما إيماننا فينتشر فى كل مكان. أنتم لا تستطيعون عن طريق قياسكم المنطقى وسفسطتكم أن تربحوا مسيحيًا واحداً بإقناعكم إياه. أما نحن فإذ ننادى بالايمان بالمسيح نعرى بالإيمان خرافاتكم، لأن الجميع يعترفون بأن المسيح هو الله وابن لله. أنتم لا تعيقون بكلامكم الجميل تعليم المسيح، أما نحن فبمجرد ذكرنا المسيح المصلوب نطرد الشياطين التى تحترمونها أنتم كآلهة. فحيث توجد إشارة الصليب يضعف السحر وتتلاشى قوة العرافة.

٧٩ - قولوا لى أين سحركم الآن؟ وأين هم سحرة مصر؟ أين هى

أوهام وضلالات السحرة؟ متى ضعفت هذه وبطلت؟ أليس عند ارتفاع صليب المسيح؟ فأما أن يكون الصليب مستحقًا الهزء أو أن تكون الأمور التى أبطلها بلا قوة؟ ومما يدعو للعجب ان عبادتكم للوثن لم تضطهد بعد، لأن الجميع يكرمونها فى كل مدينة. أما المسيحيون فيُضطهدون دائمًا، ومع ذلك فإن إيماننا يزدهر ويزداد أكثر من إيمانكم. وعلى الرغم من أن إيمانكم يتلقى دعما وإكراما ويتخذ صفة رسمية فإننا نراه يضعف ويتبدد، فى حين ان الايمان بالمسيح وتعليمه ملأ المسكونة، رغم هزئكم بهما ورغم اضطهاد الملوك لهما. متى أصبحت معرفة الله لامعة هكذا؟ متى ظهرت العفة وفضيلة البتولية وضبط النفس على هذا النحو؟ ومتى احتُقرَ الموت إلى هذا الحد، إلا عندما رُفع الصليب؟ لا يقدر احد أن يشك فى هذا، لأنه يرى بعينيه الشهداء وهم يحتقرون الموت من أجل المسيح، والعذارى وهن يحفظن أجسادهن بعفة وطهارة بلا دنس من أجل المسيح.

اثبات كلامه عمليا للفلاسفة:

٨٠ - هذه الإشارات كافية للدلالة على أن الايمان بالمسيح هو وحده الأمر الحقيقى لاتقاء الله. أنتم لا تؤمنون بالله، لأنكم تطلبون مقاييس منطقية. نحن لا نعتمد على أساليب الحكمة اليونانية فى

الإقناع، كما قال معلمنا بولس (١كور ٢: ٤)، بل نقنع بالإيمان الذى يسبق البراهين المنطقية. وكان هناك فى ذلك المكان مرضى يعانون من الشياطين، فأتى بهم إلى الوسط وقال: ابرئوا هؤلاء بقياسكم المنطقى أو بأى فن آخر أو بالسحر، وادعوا أصنامكم. وإذا كنتم لا تقدرون ان تخرجوا الشياطين فأوقفوا حربكم ومنازعتكم ضدنا لتروا قوة صليب المسيح. ولما قال هذا دعا المسيح ورسم إشارة الصليب مثنى وثلاث على المرضى، فنهضوا للحين أصحاء كاملى العقل ومسبحى الرب. فتعجب أولئك المدعوون فلاسفة واندهشوا جداً من حكمة الرجل لهذه الآيات التى حصلت على يده. فقال لهم أنطونيوس لم تتعجبون من هذا؟ نحن لا نفعل هذه الأمور بقوتنا، بل ان المسيح يفعلها بواسطة المؤمنين به. آمنوا لتروا أن ما نؤمن به ليس فنًا من فنون الكلام، بل الايمان العامل بالمحبة فى المسيح (غلاطية ٥: ٦). وإذا اقتنيتم الإيمان لن تطلبوا فيما بعد براهين منطقية، بل ستدركون انه أمر كاف. هذه هى أقوال أنطونيوس، أما هم فتعجبوا من هذا وانصرفوا مقبلين إياه ومعترفين بالفائدة التى نالوها منه.

كتابات الملوك له:

نصائحه إلى الملك قسطنطين وأولاده:

٨١ - ان شهرة أنطونيوس وصلت إلى الملوك. فحينما سمع عنه الامبراطور قسطنطين وولداه الامبراطوران قسطنديس وكونستنس كتبوا إليه كما إلى أب ورجوا منه أن يتلقوا أجوبة على رسائلهم. لكنه لم يتفاخر بالخطابات، ولم يسر بها، بل بقى كما كان قبل أن يكتب إليه الأباطرة. ولما حملوا إليه الرسالة دعا الرهبان وقال لهم: لا تتعجبوا من أن الملك كتب لى، بل تعجبوا من ان الله كتب الشريعة إلى الناس وكلمنا بابنه (عبرانيين ١: ٢). فهو لم يشأ فى البدء ان يقبل الرسائل، إذ قال انه لا يعرف أن يجيب عليها. لكن بما أن الرهبان رجوا منه قائلين ان الملوك أناس مسيحيون لذلك أجبهم لئلا يعثروا من جراء الرفض، فقبل ان يقرأها، ثم أجابهم مادحًا عبادتهم للمسيح وناصحًا إياهم بالأمور الخلاصية وعدم النظر إلى الأمور الحاضرة، بل أن يتذكروا أكثر الدينونة الآتية، وان يعرفوا ان المسيح هو الملك الحقيقى والأبدى. وحثهم على العطف وحماية البار والفقير. أما هؤلاء ففرحوا بجوابه. هكذا كان الجميع يحبون أنطونيوس ويتمنون ان يكونوا لهم أبا روحيا.

إعلان الله له عن خطر الآريوسيين على الكنيسة:

٨٢ - هكذا عرفه الناس واشتهر بأنه عظيم، وهكذا أحب هو الذين يجتمعون به. وقد رجع بعد ذلك إلى الجبل الداخلى ليمارس نسكه المعتاد. وكثيرا ما كان يبقى صامتا مندهشًا عندما يجلس مع الزائرين أو يتمشى معهم، كما كُتب فى دانيال (أنظر دانيال ٤:١٦). لكن بعد برهة كان يحدث الإخوة الذين معه عن الأمور الآتية. فكان مجالسوه يدركون انه يشاهد رؤية. فقد كان يرى ما يحدث فى مصر وهو فى الجبل، وكان يقص للأسقف سيرابيون[1] ما يشاهده فى الرؤية، عندما كان الأسقف يرى انشغال أنطونيوس بها. ذات مرة وفيما هو يقوم بالعمل اليدوى أصبح وكأنه فى حالة انجذاب روحى (وجد)، وأخذ يتنهد بأنين بسبب ما رأى. بعد وقت رجع إلى الذين كانوا بقربه وأخذ يئن بأنات ورعدة، ثم رفع الصلاة وهو يرتجف، فبقى وقتًا طويلا يصلى راكعا، وعندما نهض أخذ بالبكاء. فخاف الذين حوله خوفًا شديداً ورجوا منه أن يعرفوا الأمر. ولما ضايقوه من كثرة إلحاحهم، تنهد بأنين وقال: يا بنى خير لى أن أموت قبل أن يحدث ما شاهدته فى الرؤية.

(١) صديق أنطونيوس وأسقف تموييس وهو الذى وجه إليه القديس أثناسيوس أربع رسائل فى الروح القدس.

ولما طلبوا منه ثانية قال وعيناه تدمعان: أوشك أن يحل على الكنيسة غضب كبير وأن تسلم الكنيسة إلى أناس يشبهون الوحوش غير الناطقة والبهائم عديمة الاحساس. فإنى رأيت المائدة المقدسة يحيط بها من جميع جوانبها أبغال ترفس ما عليها، مثل رفس الوحوش عندما تقفز من غير انتظام. انتم سمعتم أنينى، لأننى سمعت صوتا يقول: سيكون مذبحى رذالة. هذا ما شاهده الشيخ. وبعد سنتين من قوله وقعت ثورة الآريوسيين الحالية، فاقتحموا الكنائس ونهبوها وسرقوا الآنية وحملوها إلى الوثنيين. فهم ألزموا الوثنيين أن يتركوا أماكن عملهم ويجتمعوا بهم. ثم فعلوا بالمائدة المقدسة ما أرادوا. عند ذلك أدرك الجميع أن رفسات البغال انبأت أنطونيوس بما يفعله بحماقة الاريوسيون بحضور أولئك. لكنه عندما شاهد أنطونيوس هذه الرؤية دعا من حوله وعزاهم وقال لهم: لا تتوانوا يا أولادى، فكما غضب الرب هكذا سيقدم الشفاء، فتكتسب الكنيسة جمالها بسرعة وتتلألأ كعادتها. وسترون المضطهدين وهم يتراجعون، وسيعود الكفر إلى أعشاشه، وسيُجاهر بالإيمان الحقيقى فى كل مكان بشجاعة وحرية. احترزوا من أن تدنسوا أنفسكم مع الآريوسيين. فما تعليمهم تعليم الرسل، بل تعليم الشياطين، وأبيهم إبليس، أو قل إنه تعليم عاقر وجاهل، لا نتيجة عقل صحيح، تمامًا مثل بهيمية الأبغال.

باسم المسيح تصنع المعجزات :

عجائبه الجديدة، وصاياه وانتقاله :

٨٣ - هذه هى الأمور المتعلقة بأنطونيوس وكلماته ولا ينبغى أن نشك فى امكانية عمل انسان واحد لعجائب كهذه. فهذا هو وعد الرب القائل: «لو كان لكم إيمان بمقدار حبة خردل لقلتم لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ولما عجزتم عن شىء» (متى ١٧: ٢٠) وأيضا: «الحق الحق أقول لكم ان سألتم الآب شيئا باسمى أعطاكم إياه، اطلبوا تنالوا» (يوحنا ١٦: ٢٣-٢٤). والرب نفسه قال لتلاميذه وكل من آمن به: «اشفوا المرضى اطردوا الشياطين، مجانا أخذتم فمجانا اعطوا» (متى ١٠: ٨).

٨٤ - وعلى أى حال لم يشف أنطونيوس المرضى بأمره، بل بصلاته والنطق باسم المسيح، لكى يظهر للجميع انه لم يكن هو الذى يفعل هذا، بل الرب الذى أظهر رحمته ومحبته للبشر وشفى المتألمين بواسطة أنطونيوس. وكان فضل أنطونيوس فى الصلاة والنسك، اللذين مكث من أجلهما فى الجبل فرحًا بمشاهدة الإلهيات والتأمل. لكنه كان يحزن من ازعاج الناس له، فكان يُضطر للذهاب إلى خارج الجبل. توجه مرة إلى الجبل عدد من القضاة ورجوا منه النزول، لأنهم لم يقدروا ان

يدخلوا تلك المنطقة بسبب المتقاضين الذين كانوا يطاردونهم ويتبعونهم. فطلبوا أن يروه على انفراد. أما هو فأخذ طريقا آخر وتوقف عن سلوك الطرق التى تؤدى إليهم. لكنهم أصروا على لقائه وأرسلوا إليه الأسرى تحت حراسة الجند، لكى ينزل بحجة أولئك. فاضطر إلى النزول إلى الجبل الخارجى، لأنه رآهم يبكون. فلم يذهب تعبه باطلا، بل آل وصوله إلى منفعة كثيرين. فلقد نصح القضاة بتفضيل العدل وخوف الله وعرّفهم بأنهم يدانون كما يدينون (متى ٧: ٢). أما هو فأحب حياة الجبل أكثر من أى شىء آخر.

حديثه مع أحد القادة :

٨٥ - فى مرة أخرى أخذ المحتاجون إلى مساعدته يضايقونه، حتى أن أحد القواد رجا منه أن ينزل فنزل. ولما كلمه عما يقود إلى الخلاص وعما يحتاجون إليه هم بالعودة سريعًا. لكن ذلك المدعو دوقًا رجا منه البقاء أكثر، فقال انه لا يستطيع أن يطيل بقاءه معهم، وأقنعه بمثل مفرح وابتسامة إذ قال: إذا بقى السمك على اليابسة طويلاً يموت، وهكذا إذا بقى الرهبان معكم طويلاً يصابون بالتراخى ويفقدون قوتهم. فكما يكون نزول السمكة إلى البحر ضروريًا هكذا يكون الإسراع إلى الجبل ضروريا لنا، لئلا ننسى فى تأخرنا الحياة داخل الجبل. وعندما

سمع منه القائد هذه الأمور وأمور أخرى قال بإعجاب: ان هذا هو حقًا عبد لله وخادمًا له. فمن أين لإنسان يدعى جاهل وبسيط كهذا ان يملك عقلاً عظيمًا بهذا المقدار لولا محبة الله له.

تحذيره الشديد لقائد آريوسى :

٨٦ - كان هناك قائد اسمه فلاكيوس يطارد المسيحيين مطاردة مريرة وعنيفة، لأنه حمس فى مساندة الآريوسيين ذوى الاسم السىء. ولما كان قاسى القلب كثيراً ما كان يضرب المتبتلين ويعرى الرهبان ليجلدهم. فأرسل إليه أنطونيوس كتابا يقول فيه اننى أرى الغضب آتيًا عليك، فتوقف عن اضطهاد المسيحيين، لكى لا يحل بك الغضب الذى أوشك أن يقترب منك. فضحك فلاكيوس ورمى الكتاب أرضا وبصق عليه وشتم الذين سلموه الرسالة وأوصى أن يخبروا أنطونيوس بما يلى: اننى آت اليك، لأنك تهتم بالرهبان. لكن ما أن مرت خمسة أيام حتى حل عليه ذلك الغضب فعندما انطلق فلاكيوس ونسطوريوس والى مصر (من سنة ٣٤٥ إلى ٣٥٢) إلى دير الإسكندرية الأول، الذى كان يدعى كيريو، على ظهر حصانين من أحصنة فلاكيوس، وكانا من أكثر الأحصنة التى يربيها وداعة، فقبل أن يصلا إلى المكان ابتدأ الحصانان باللعب مع بعضهما كالعادة. لكن فجأة نهش الحصان الأكثر

وداعة والذى كان يمتطيه نسطوريوس فلاكيوس ورماه أرضًا، ثم انقض عليه واقتلع فخذه بأسنانه. فنقل فلاكيوس فوراً إلى المدينة حيث مات بعد ثلاثة أيام. فتعجب الجميع، لأن ما تنبأ به أنطونيوس تحقق بسرعة.

قدرته على افادة الجميع :

٨٧ - هكذا كان يسدى النصائح إلى القساه، ويحذّر الذين كانوا يجتمعون به، حتى ينسوا الإدانة ويطوبوا الذين اعتزلوا العالم. وهكذا حامى عن المظلومين، إذ أحس بأنه هو المتألم ولا هم. فكان قادراً على إفادة الجميع، حتى أن عدداً كبيراً من الجنود ومن الأغنياء تركوا أعباء الحياة وصاروا رهبانًا. وكأنه الطبيب الذى وهبه الله إلى مصر. فمن كان حزينًا ولم يرجعه فرحًا؟ ومن أتاه باكيًا على أمواته ولم يطرح عنه الكآبة؟ ومن أتاه غاضبا ولم يتحول غضبه إلى محبة؟ ومن كان فقيراً ويائسًا والتقى به ولم يزدر بالغنى ويتعز بفقره؟ وأى راهب سقط فى الإهمال وأتى إليه ولم يصبح أقوى من قبل؟ وأى شاب صعد إلى الجبل ورآه ولم ينكر اللذات ولم يحب العفة والاعتدال؟ ومن ذا الذى جربته الشياطين وأتى إليه ولم يجد راحة؟ ومن أتى متضايقًا ولم يجد راحة؟ ومن أتى متضايقا من أفكار شريرة ولم يهدأ فكره؟

موهبة التمييز لدى القديس :

٨٨ - كان عظيمًا فى نسكه، كما قلت، لأنه امتلك موهبة تمييز الأرواح وعرف تحركاتها. ولم يجهل إلى أين يوجه اهتمامه واندفاعه وهجومه. ولم يكن هو وحده الذى لم تخدعه الأفكار الشريرة، بل كان يعزى الذين كانوا يتضايقون منها ويعلمهم كيف يبعدون هجماتها وينتصرون عليها ويخبرهم عن ضعف الشياطين وحيلها. فكان يرجع كل واحد متشدداً وعارفًا حبائل إبليس وشياطينه. كم من عذارى مخطوبات بقين عذارى من أجل المسيح عندما رأين أنطونيوس من بعيد؟ فكان يأتى إليه الكثيرون من أماكن بعيدة ويرجعون بعد حصولهم على الفائدة، وكأن أباهم أرسلهم. وأعطاهم معونة وعندما رقد كانوا وكأنهم أيتام الأب. فكانوا يتعزون من ذكر اسمه فقط، ويحفظون فى ذاكرتهم نصائحه وحثه لهم.

نصائحه للاخوة قبل نياحته :

٨٩ - ويجدر بى أن أخبركم عن نهاية حياته أنتم الذين تملكون رغبة فى السماع، لأن هذه النهاية تستحق الغيرة والاقتداء به فهو اعتاد زيارة الرهبان الذين هم فى الجبل الخارجى، عندما عرفته العناية الإلهية عن نهاية حياته كلم الاخوة قائلاً: هذه هى زيارتى الأخيرة لكم،

ولا أدرى إذا كنّا سنلتقى فى هذه الحياة بعد. حان وقت رحيلى فإننى بلغت مئة وخمس سنوات. حينما سمعوا هذا بكوا وعانقوه وقبلوه، أما هو فكلمهم بفرح وكأنه يترك مدينة غريبة ليعود إلى مقره ووطنه، وأوصاهم بأن لا يتهاملوا فى الأتعاب ولا يكلوا فى النسك، بل أن يعيشوا وكأنهم يموتون فى كل يوم. وكما قلت لكم سابقًا: احفظوا أنفسكم من الأفكار الدنسة ولتكن عندكم غيرة القديسين بكل نشاط، ولا تخالطوا الميليتانيين المنشقين المهرطقين، لأنكم تعرفون قصدهم الشرير. لا تتصلوا بالآريوسيين، ولا تشاركوهم لأن كفرهم معروف عند الجميع، وإذا ما رأيتم مساندة القضاة لهم فلا تضطربوا، لأن توقفها وشيك وافتخارهم بقوتهم أمر وقتى وزائل. فاحفظوا أنفسكم سالمة منهم بلا دنس وحافظوا على تقليد الآباء وقبل كل شىء على الايمان القويم بيسوع المسيح الذى تلقنتموه من الكتاب المقدس والذى طالما ذكرتكم به.

٩٠ - وألح الاخوة عليه فى البقاء إلى جانبهم ليموت هناك، فلم يقبل لأسباب كثيرة، كما كان يظهر بصمته.والسبب الرئيسى هو أن المصريين اعتادوا تكفين وإكرام اجساد العظماء الصالحين وعلى الأخص الشهداء القديسين وحفظها من دون دفنها تحت التراب.

فكانوا يضعونها على منضدة ويحفظونها داخل البيوت ظانين بأن هذا تكريم للراقدين. فطالما رجا أنطونيوس من الأسقف أن يرشد الشعب فى هذه الناحية ويوبخ الرجال وعلم النساء قائلا، انه أمر غير شرعى وغير مقدس أبداً. فها ان أجساد البطاركة والأنبياء ما زالت محفوظة حتى هذا اليوم فى القبور، كما أن جسد المسيح نفسه وضع فى قبر ووضع حجر عند باب القبر، وبقى مدفونًا إلى أن قام فى اليوم الثالث (أنظر متى ٢٧: ٦٠، يوحنا ١٩: ٤١-٤٢). بهذا القول أراهم أن عدم دفن الأجساد أمر يخالف الشريعة، حتى ولو كانت الأجساد مقدسة. فأى جسد أسمى وأقدس من جسد الرب. وعندما سمع الكثيرون هذا الكلام ابتدأوا بدفن الأجساد من ذلك الحين وشكروا الرب، لأنهم تلقوا تعليمًا صحيحًا كهذا.

وصيته لتلميذيه قبل ناحيته:

٩١ - أما هو فإذ كان يعرف هذا ويخاف من أن يفعلوا هكذا بجسده غادر بسرعة بعد أن ودع الرهبان الذين كانوا فى الجبل الخارجى. ففضل الجبل الداخلى حيث اعتاد الإقامة، وبعد أشهر قليلة مرض فدعا الناسكين اللذين نسكا معه مدة خمسة عشر سنة وخدماه فى شيخوخته وقال لهما: أنا أسير الآن على طريق الآباء، كما هو

مكتوب (يشوع ٢٣: ١٤)، لأننى أرى الرب يدعونى. فكونا ساهرين ولا تضيعا نسككما الطويل، بل اهتما بالحفاظ على غيرتكما وعزمكما، كما لو كنتما فى البداءة. إعلما بأن الشياطين تريد شراً بكما. فهى متوحشة إلا أنها ضعيفة. لذلك لا تخافا منها، بل تنفسا المسيح دائمًا وآمنا به. عيشا وكأنكما تموتان يوميًا وتذكرا نصائحى. لا تتصلا بالمنشقين ولا بالآريوسيين الهراطقة، لأنكما تعلمان كيف أتجنبهم بسبب هرطقتهم التى تحارب المسيح وبسبب تعاليمهم الغريبة. اهتما بأن يكون الرباط بينكما قويا، واتحدا أولا بالمسيح ثم بالقديسين الذين ستلتقيان بهم بعد الموت فى المساكن الأبدية. فكرا فى هذه الأمور وتأملا فيها. إذا كنتما تهتمان بى فتذكرا أننى أب لكما ولا تسمحا للآخرين بنقل جسدى إلى مصر كى لا يضعوه فى بيوتهم. لهذا دخلت الجبل وأتيت إلى هنا. إنكما تعلمان كيف كنت دائما أوبخ الذين يفعلون هذا الأمر حاثًا إياهم على الكف عن هذه العادة. لذلك ادفنا جسدى تحت التراب واحفظا قولى وهو ألا يعرف احد غيركما المكان، لأننى سأحصل عليه بلا فساد فى قيامة الأموات من يد المخلص. وزّعا ثيابى فأعطيا أثناسيوس الأسقف ثوبى المفرى، ثوبى الذى كان كفراش لى وكل ما وهبه لى جديدا وأنا أبليته. واعطيا

الثوب المفرى الآخر إلى الأسقف سرابيون. واحتفظا أنتما بكسائى المكسو بالشعر. فإن أنطونيوس ينتقل ولن يبقى معكما.

نياحة القديس أنطونيوس (٣٥٦م) :

٩٢ - حالما قال هذا الكلام عانقاه. فمد رجليه ونظر إليهما كصديقين قادمين إليه، وفرح جداً حتى أن وجهه كان بهيًا. فمات وانضم إلى الآباء. وكما أوصاهم لفا جسده ودفناه تحت التراب. ولم يعلم أحد حتى اليوم أين هو قبره سوى هذين. وكان كل منهما ينظر إلى الثوب الممزق الذى كان معه وكأنه كنز نفيس، لأن رؤية ثيابه كانت بالنسبة إليهما رؤية أنطونيوس نفسه. وعندما كانا يرتديان ثيابه كانا وكأنهما يحفظان نصائحه بفرح.

شهرة القديس أنطونيوس بعد نياحته :

٩٣ - هذه هى نهاية أنطونيوس فى الجسد، وتلك هى لمحة عن النسك. على الرغم من قلة هذه الأمور إذا ما قورنت بفضائله، فكروا فى أنطونيوس رجل الله الذى حفظ منذ حداثته حتى هذه السن المتقدمة غيرة النسك غير منتقصة، دون أن ينتصر عليه الطعام الحسن بسبب شيخوخته ودون أن يغير شكل ثيابه بسبب ضعف جسده، ودون أن يغسل رجليه بالماء أبداً. لكنه بقى فى كل شىء من غير أذى.

فنظره لم يضعف وأسنانه لم تتساقط، بل بقيت نخرة تحت اللثة بسبب تقدمه فى السن. كما بقى قوى اليدين والقدمين. وكان أشد قوة من كل الذين استخدموا نظامًا معينًا فى طعامهم وألبسة متنوعة واستحمامًا كثيراً. أما عن شهرته الواسعة ومحبة الجميع له وإعجابهم به ومحبتهم له دون أن يروه دليل على فضيلة نفسه ومحبتها لله. وإن أنطونيوس لم يُعرف بسبب مؤلفاته ولا بسبب حكمة خارجية أو فن ما، بل بسبب إتقائه لله. فلا أحد ينكر أنها موهبة من الله، إذ كيف وصلت شهرته إلى إسبانيا وفرنسا وروما وافريقيا وهو قابع فى الجبل، لو لم يكن الله هو الذى جعل أخصاءه معروفين فى كل مكان ووعد أنطونيوس بهذا منذ البدء؟ فحتى لو عمل أخصاؤه فى الخفاء وسعوا إلى تجنب انتباه الناس فإنهم سيُعرَفون، لأن الرب هو الذى يظهرهم كمصابيح مضيئة وأنواراً للجميع، لكى يعرف السامعون أنهم قادرون على تطبيق وصايا الله، ولكى يكتسبوا غيرة فى طريق الفضيلة.

الخاتمة:

٩٤ - إقرأوا هذه على بقية الاخوة، حتى يعرفوا كيف يجب أن تكون حياة الرهبان، ويقتنعوا ويؤمنوا بأن الرب والمخلص يسوع يمجد الذين يمجدونه وبأنه يقود الذين يخدمونه إلى النهاية، لا إلى ملكوت السموات فحسب، بل يجعلهم هنا معروفين فى كل مكان لمنفعة الآخرين، رغم أنهم يختبئون ويسرعون إلى الانسحاب والابتعاد عن العالم. وإذا لزم الأمر اقرأوا هذه على الوثنيين، لكى لا يدركوا فقط أن الرب يسوع المسيح هو الله وابن الله، بل أن الذين يعبدونه بصدق ويؤمنون به بتقوى يطردون الشياطين التى يظنها الوثنيون آلهة. انها ليست آلهة، لان المسيحيين يدوسونها ويطردونها كمضللة ومفسدة للناس، وذلك بيسوع المسيح ربنا الذى له المجد إلى دهر الداهرين.

آمين

سيرة العظيم الأنبا أنطونيوس

انها سيرة من القرن الرابع الميلادى .. فهى ليست جديدة .. ولكنها ستبقى جديدة. انها سيرة حية متجددة .. نُشرت بلغات عديدة ولكن لا يفهمها إلا الذى يعرف لغة الحب الإلهى.

انها سيرة ألهبت القلوب .. وجذبت للمسيح قلوب شباب وعذارى فخرجوا فى إثره ..

هذه السيرة قرأها الأغنياء فاحتقروا غناهم ... قرأها الحكماء فازدادوا حكمة .. قرأها المنبهرين بمباهج العالم فأحبوا سكنى الجبال والبرارى .. قرأها الخطاة فامتلأ قلبهم توبة وغيرة على الجهاد ..

ويكفى أن تعرف عزيزى القارئ أن سيرة العظيم الأنبا أنطونيوس كانت سبباً قوياً فى توبة وتغيير القديس أوغسطينوس ...

وقد راعينا فى عرض السيرة الحفاظ بدقة شديدة على الترجمة الاصلية مع وضع عناوين .. وتبسيط بعض المعانى التى يصعُب فهمها..